التفسير الجامع

فضيلة الشّيخ الدّكتور محمّد عبد السّتّار السّيّد

مُقَدِّمَة

القرآن الكريم معجزةٌ خالدةٌ لكلّ زمانٍ ومكانٍ، وعطاؤه متجدّدٌ لا ينفد، وكلّما تطوّر العقل البشريّ استطاع أن يستمدّ من القرآن الكريم وعلومه ما يوافق التّطوّر العلميّ الّذي وصل إليه.

وآيات القرآن الكريم مكتنزة بعطائها العلميّ والفكريّ والرّوحيّ، وهو كتاب هدايةٍ فيه إشاراتٌ علميّةٌ لا يمكن أن تُصادم العقل البشريّ في أيّ زمنٍ من الأزمان.

وهذا التّفسير هو محاولة تدبّرٍ لآيات كتاب الله امتثالاً لأمره ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمّد]، متمسّكين بهدي نبيّنا محمّد ﷺ، فهو الّذي عليه نزل وبه أخذ وعمِل، فقد كان ﷺ قرآناً يمشي بين النّاس في نهجه وسيرته وسلوكه وهديه وأقواله وأفعاله وبالعلم الّذي به أمر ﷺ.

فكان هذا التّفسير الجامع محاولةً عصريّةً للأخذ من عطاء القرآن الّذي لم يفرغ في زمن النّزول، وإنّما تعدّى كلّ العصور، ومواكبةً لتطوّر العقل البشريّ ومعطيات العلم الحديث في فهم النّصّ من خلال التّفكّر والتّعقّل والتّدبّر الّذي أمر به القرآن الكريم: (أفلا يعقلون، أفلا يتفكّرون، أفلا يتدبّرون، أفلا ينظرون). والله وليّ التّوفيق

الشّيخ الدكتور محمّد عبد الستّار السيّد

الجُزءُ الرّابع

سورة آل عمران من الآية (٩٣–٢٠٠)

سورة النّساء من الآية (١–٢٣)

(الآية ٩٣) - ﴿* كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾:

كان الحديث في الآيات السّابقة عن الإنفاق وعن المال فهو قريب من الإطعام، وهنا في هذه الآيات ردّ على بني إسرائيل الذين كانوا يحاولون التّشويش على القرآن.

﴿* كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: من هو إسرائيل؟

إسرائيل هو سيّدنا يعقوب بن إسحاق، وإسحاق أخو إسماعيل، وإسحاق وإسماعيل ابنَا سيّدنا إبراهيم عليه السلام، وكلّ الأنبياء جاؤوا من نسل إسحاق حتّى نصل إلى سيّدنا عيسى عليه السلام، باستثناء النّبيّ محمّد ﷺ جاء من نسل إسماعيل عليه السلام.

والصّهاينة سمّوا هذه الدّولة الغاشمة المزعومة (إسرائيل)، وكلمة إسرائيل: تعني: عبد الله المختار، أو عبد الله المصطفى، وهو يعقوب عليه السلام، فاستغلّوا الاسم الدّينيّ لنبيّ من الأنبياء ليقوموا بكلّ جرائمهم ومخازيهم، كما يستغلّ الإرهابيّون والمتطرّفون اسم الإسلام ويرتكبون الجرائم متستّرين به، وكذلك الدّولة العنصريّة (إسرائيل)، استغلّت اسم النّبيّ يعقوب عليه السلام وارتكبت أبشع الجرائم، فاحتلّت الأراضي العربيّة، وهجّرت شعب فلسطين من أرضه.. وسيّدنا إسرائيل (يعقوب) بريء من هؤلاء، كما أنّ الإسلام بريء من الإرهابيّين والمتطرّفين والقَتَلة والمجرمين.

وقد أحلّ النّبيّ محمّد ﷺ أكل الأنعام، فقال له اليهود: لا، بل يَحرُم أكلها، فكان الرّدّ عليهم: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فحاججهم بالتّوراة، بأنّ هذه الأنعام كانت حلّاً لبني إسرائيل، ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ فهذا التّحريم هو نذر نذره سيّدنا يعقوب عليه السلام.

والحِلُّ: مرادف الحلال، فإسرائيل (يعقوب عليه السلام) حرّم على نفسه نذراً، ولكنّه لا يستطيع أن يُحرّم على غيره، فالذي يُحلّل ويُحرِّم هو الله سبحانه وتعالى.

﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾: فالتّوراة أُنزلت بعد سيّدنا يعقوب (إسرائيل) بزمن بعيد، هناك قرون متطاولة من الزّمن، فالتّوراة أُنزلت على سيّدنا موسى، وليس على سيّدنا يعقوب، ففي أيّام (إسرائيل) لم يكن هناك توراة ولا يهوديّة.

والقرآن الكريم عندنا هو مصدر الصّدق، ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٥]، فنطابق الأمور على ما جاء في القرآن الكريم؛ لأنّنا نؤمن أنّه من عند الله سبحانه وتعالى، لكنّنا عندما نناقش من لا يؤمن بالقرآن، لا نستطيع أن نقول له: هكذا وجدناه في القرآن الكريم، بل لا بُدّ من الحقائق العلميّة والتّاريخيّة أيضاً لإثبات صحّة ما نقول، فقد بيّن لهم القرآن الكريم أنّ ما حرّم إسرائيل أي (يعقوب عليه السلام) على نفسه ليس له علاقة بهم؛ لأنّه كان قبل نزول التّوراة، لذلك طلب منهم أن يأتوا بالتّوراة، ويتلوها ليثبتوا صدق دعواهم في أنّه حُرِّم عليهم، لكنّهم رفضوا؛ لأنّهم كاذبون، فهم لا يجدون ذلك في كتبهم.

(الآية ٩٤) - ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾:

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: فاليهود افتروا على الله الكذب وقالوا: إنّ أكل الأنعام حرام. وكلّ إنسان يُحرّم ما أحلّ الله، أو يُحلّل ما حرّم الله تنطبق عليه هذه الآية.

﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: هم ظالمون:

أوّلاً- لأنّهم ظلموا أنفسهم وحرموها البرّ والجنّة.

ثانياً- لأنّهم ظلموا غيرهم بإضلالهم إيّاهم بتحريم ما أحلّ الله، وتحليل ما حرّم الله، فيحملون أوزارهم وأوزار مَن عملوا بضلالهم، كما قال ﷺ: **«من سنّ سنّة حسنة عُمل بها بعده، كان له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجره شيء، ومن سنّ سنّة سيئة كان عليه مثل وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»**[1].

(الآية ٩٥) - ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾:

يأتي الأمر: قُل يا محمّد: ﴿صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ﴾، وقد قال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النّساء: من الآية ١٢٢].

والصّدق: هو مطابقة الكلام للواقع، فالله ﷻ أصدق القائلين؛ لأنّه هو الذي خلق الخلق، وهو الذي يعلم كلّ شأنهم، ولا يخفى عليه أمر.

---

(١) سنن الدّارميّ: باب من سنّ سنّة حسنة أو سيّئة، الحديث رقم (٥١٢).

﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾: هذا يدلّ على وحدة العقائد في كلّ الرّسالات السّماويّة، فالعقيدة واحدة من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الرّسل سيّدنا محمّد ﷺ، فهي تشمل كلّ ما يتعلّق بالله ﷻ وصفاته، والثّواب والعقاب والجنّة والنّار، والغيبيّات.

والله ﷻ هنا يُخاطب أهل الكتاب، وكلّ أهل الكتاب الذين وقفوا في مواجهة النّبيّ ﷺ، وفي المدينة المنوّرة تحديداً، فالله ﷻ يقول لهم: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾، ما الفرق بين الملّة والدّين؟

الملّة: تشمل العقائد والتّشريعات.

الدّين: يشمل العقيدة.

والتّشريع: يشمل الأحكام.

﴿حَنِيفٗا﴾: مائلاً عن الشّرك، فإبراهيم عليه السلام كان بينه وبين قومه، وبين أبيه وبين النّمرود مناظرات كثيرة تتعلّق بالشّرك، وكانت عبادة الأصنام منتشرة بشكل كبير في زمانه، فكان إبراهيم عليه السلام مائلاً عن الشّرك المنتشر في عصره.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: ورد هذا التّحديد هنا؛ لأنّ كلّ دعوة سيّدنا إبراهيم كانت بهذا الاتّجاه.

(الآية ٩٦) - ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ﴾: البيت: هو مكان الاطمئنان والسّكن والرّاحة.

جاءت هذه الآية هنا؛ لأنّ ما يتعلّق بالبيت الحرام يتعلّق بكلّ المناسك التي أتى بها إبراهيم عليه السلام، وكلّ المناسك التي نقضت الشّرك هي المناسك التي وضعها سيّدنا إبراهيم عليه السلام وهو يُحارب الشّرك، فالّذين يقولون: إنّ هناك حجريّة (أي تقديساً للحجر)، وأنّ هناك أموراً لا نفهمها في الحجّ هم مخطؤون، وعلى العكس تماماً، مناسك الحجّ تُناقض مفهوم الحجريّة؛ لأنّك في الحجّ لا تُقدّس حجراً، كما قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه عندما قبّل الحجر الأسود: "إنّي أعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت النّبيّ ﷺ يقبّلك ما قبّلتك"[1]، ولا يجد الإنسان لذّة الطّواف من دون تقبيل الحجر الأسود، وبعد خطوات يصعد إلى مِنى ليرجم الحجر الذي يُمثّل إبليس، يرجمه بحجر، فلا مَلحظ هنا للحجريّة، وإنّما الأمر على العكس تماماً، هو ضدّ الإشراك، وهو أنّك تتّبع ما جاء به النّبيّ ﷺ. قال رجل لسيّدنا عليّ رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن هذا البيت، فقال له: هو أوّل بيت وضع للنّاس؟! قال: كانت البيوت قبله، وقد سكن نوح عليه السلام البيوت، ولكنّه أوّل بيت وُضع للنّاس مباركاً وهدى للعالمين[2]، فهو بيت للعبادة والطّاعة، فالإنسان عندما يكون متعباً يذهب لبيته من أجل أن يرتاح، يحطّ عنه الهموم والمتاعب التي يجدها في الخارج، وكذلك أنت تذهب إلى بيت الله الحرام لتضع عنك الأوزار والآثام، قال ﷺ: «**من حجّ لله فلم**

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الحجّ، باب ما ذُكر في الحجر الأسود، الحديث رقم (١٥٢٠).
(٢) مسند الحارث: كتاب الحجّ، باب في أمر الكعبة، الحديث رقم (٣٨٨).

يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه»[1].

وقد يقول قائل: كلّ المساجد في الأرض هي بيوت الله، فما الفرق بينها وبين الكعبة المشرّفة؟

الفرق أنّ الكعبة بيت الله باختياره ﷻ، أمّا المساجد فهي بيوت الله من اختيار خلق الله، كأن يتّفق أهل الحيّ أو المعنيّون، فيحيّزون قطعة من الأرض في حيّهم، ويقولون: سنبني عليها مسجداً، أمّا الكعبة فهي البيت الوحيد الذي لا دخل للبشر في اختياره، وهذا هو الفارق.

﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾: وضع هذا البيت لجميع خلق الله بأمر الله واختياره.

فكلمة ناس تشمل كلّ البشر، وآدم عليه السلام أصل هؤلاء النّاس، فالكعبة وُضعت لآدم عليه السلام للعبادة، ﴿وُضِعَ﴾ فعل مبني للمجهول، فالملائكة هي التي وضعت هذا البيت، قبل آدم، والدّليل هو هذه الآية.

ومن الإثباتات أنّ البيت الحرام وُضع للنّاس قبل وجودهم، وأنّه بُني قبل إبراهيم عليه السلام:

١- أنّ آدم عليه السلام تنطبق عليه كلمة: ﴿لِلنَّاسِ﴾.

٢- عندما أخذ سيّدنا إبراهيم السيّدة هاجر وابنه إسماعيل إلى هذا الوادي المُقفر قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[إبراهيم: من الآية ٣٧]، ممّا يدلّ على أنّه كان موجوداً قبل مجيء إبراهيم إلى هذه المنطقة، وليس هو مَن بناه، فقد قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الحجّ، باب فضل الحجّ المبرور، الحديث رقم (١٤٤٩).

﴿مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾[البقرة]، فهو رفعه مع ابنه إسماعيل بعد ما صار يافعاً وليس عندما جاء به وهو رضيع، فهذا أمر غير ممكن عقلاً.

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾: لماذا قال: بكّة، ولم يقل: مكّة؟

هذا من إعجاز ودقّة القرآن الكريم المتناهية، فلو قال: (للذي بمكّة)، لما عُرِف المقصود؛ لأنّ المكان الذي فيه الكعبة المشرّفة لم يكن بلداً، بل كان وادياً غير ذي زرع كما وصفه سيّدنا إبراهيم عليه السلام، ثمّ بُنيت مكّة بعد ذلك نتيجة لدعوة سيّدنا إبراهيم: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٧]، والدّليل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾[البقرة]، إذاً لم يكن هناك بلد، فأوّل بيت وُضع للنّاس كان ببكّة وليس بمكّة.

﴿بِبَكَّةَ﴾: بكّة: هو المكان الذي يزدحم فيه النّاس عند الطّواف، مأخوذ من الازدحام، وهذا هو الإعجاز.

﴿مُبَارَكٗا﴾: كما قال سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص].

كلمة البركة تعني باللّغة العربيّة: النّماء والزّيادة.

والمعنى العامّ لكلمة مبارك: الذي يُعطي أكثر من حجمه، كما نقول

بالعاميّة: هذا الطّعام القليل فيه بركة، كفاني وكفى عشرة أشخاص معي، فالشّيء المبارك يُعطي أكثر من الحجم والوزن.. لذلك الصّلاة في الحرم المكّي بمئة ألف صلاة نتيجة للبركة التي ذكرها الله ﷻ بقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، والبركة تأتي من الله ﷻ، فالمسجد الحرام مُبارك يُعطي أكثر من الحجم (بمضاعفة الثّواب)، ويتّسع لأكثر من العدد، فالإنسان يُكرم ضيفه بأحسن ما عنده، فكيف بأكرم الأكرمين عندما يقول: هذا بيتي؟! فمن دخله، وحصل على شرف الطّواف به فهو في بركة الله.

﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾: أي أنّه يدلّ على الطّريق الصّحيح.

(الآية ٩٧) – ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾:

﴿فِيهِ آيَاتٌ﴾: الآية تعني المُعجزة.

﴿بَيِّنَاتٌ﴾: أي واضحات.

فهذا البيت قد ترك الله ﷻ فيه آياتٍ معجزاتٍ تدلّ على صدق البلاغ وتدلّ على أنّه بيت الله، وهي: ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، لكن كلمة آيات تدلّ على الجمع، فما هي الآيات غير مقام إبراهيم؟ لم يذكر سوى ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، إذاً يجب أن نبحث في مقام سيّدنا إبراهيم الخليل عن مجموعة من الآيات المعجزات.

المقام: هو المكان الذي وقف فيه وهو يرفع القواعد من البيت، ونحن نرى فيه عدّة آيات:

١- أنّ مكان قدم سيّدنا إبراهيم منحوت على الحجر، فالذي يريد رفع حجر كبير إلى الأعلى يجب أن يكون موضع قدميه ثابتاً، إذاً كان هناك تثبيت إلهيّ حيث غُرست قدماه في الحجر بشكل يكون فيه ثابتاً أثناء رفع الحجارة، وبقي موضع قدميه في الحجر إلى يومنا هذا.

٢- طالما انحفر الحجر وغرست فيه قدما إبراهيم عليه السلام، فكيف رفع القواعد بهذا الشّكل؟! فرغم أنّ قدميه انغرستا في الحجر الذي يقف عليه لكنّه ارتفع، ورفع القواعد.

فهذه من الآيات البيّنات في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد يكون هناك آيات أخرى لم تتكشّف لنا.

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾: قال المستشرقون هنا: إنّ القرآن الكريم فيه خَلل -والعياذ بالله-، ويذكرون ما حدث فيه أيّام عبد الله بن الزّبير وهدم الكعبة بالمنجنيق، ويقولون: إنّ هناك أشخاصاً تموت أثناء الطّواف، أو تُسرق أو تُضرب، فأين الأمن الذي ذكرته الآية؟

وسؤالهم هذا نتيجة عدم معرفتهم باللّغة العربيّة، فأنا عندما أقول من دخل بيتي كان آمناً، أو مُكرّماً، فهل مَن يدخل بيتي يُصبح مكرَّماً وحده؟! لا، بل المقصود: يا أهل بيتي، عليكم أن تكرموا كلّ زائر، فعندما يقول الله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾، فهو خبرٌ تكليفيٌّ، وليس خبراً إنشائيّاً، أي: عليكم أنتم يا من تتولّون الحرم أن تؤَمّنوا مَن يدخل إليه، فهذا من واجبات النّاس وليس مِن فعل ربّ النّاس، فإذا حدث خَلل في الأمان داخل

الحرم فهو خَلل ممّن يقوم على خدمة الحرم، وليس في كلام الله ﷻ.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾؛ لأنّ الحجّ للنّاس جميعاً، والحجّ كان قبل الإسلام، والله ﷻ عندما فرض الحجّ فرضه على النّاس جميعاً، فإبراهيم عليه السلام عندما رفع القواعد قال: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة: من الآية ١٢٨]، فإبراهيم هو مَن وضعها، وبعده جاء أنبياء كُثر، ونزلت التّوراة والزّبور والإنجيل، فالحجّ لكلّ النّاس، لذلك نجد باقي أركان الإسلام تبدأ بـ (يا أيّها الذين آمنوا): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة]، إلّا الحجّ فيقول ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

الحجّ: تعني القصد إلى معظّم.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: هناك سبيل، وهناك استطاعة.

سبيل: أي إنّ الحجّ لكلّ البشر، وليس فقط للمقيمين.

الاستطاعة: أي تأمين الطّريق والزّاد وأمن الطّريق، فإذا أنت لم تتحقّق هذه الشّروط لك فيسقط عنك الحجّ سقوطاً مُعلّقاً حتّى تتحقّق الاستطاعة، فإذا تحقّقت وجب الحجّ.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: فمن ردّ الحكم على الله وأنكر مناسك الحجّ، فقد جحد بوجود الله تعالى، والله غنيّ عن كلّ الخلائق، بما

فيها الإنس والجنّ والملائكة، فأنت تعبد الله لأجلك وليس لأجله، فأنت المنتفع بعبادتك، والله جلّ وعلا لا تنفعه طاعتك ولا تضرّه معصيتك.

(الآية ٩٨) – ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾:

يتّضح من وجود كلمة ﴿قُلْ﴾ في كتاب الله أنّ النّبيّ ﷺ يُبَلِّغ عن الله تبارك وتعالى دون زيادة أو نقصان.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّ أهل الكتاب، وهم اليهود، معهم كتاب فيه إشارة واضحة إلى مجيء النّبيّ ﷺ، وكان أهل الكتاب فيما مضى يستفتحون بهذه البشارة على الذين آمنوا، فلمّا جاء هذا النّبيّ المبشَّر به في كتابهم ورأوه حقيقة كفروا به كِبراً وحسداً وعدواناً؛ لأنّهم خافوا على مراكزهم، فالمنتفع من الباطل قلّما يهتدي، أمّا المقتنع بالباطل دون أن يُحصِّل منافع من هذا الباطل فكثيراً ما يهتدي، فالإنسان المقتنع بالباطل قد يأتيه دليلٌ لم يكن في علمه فيخضع للحقّ، أمّا المنتفع بالباطل فهو لا يدافع عن فكرة يعتنقها، بل يدافع عن مصلحة ينعم بها.

(الآية ٩٩) – ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾:

﴿تَصُدُّونَ﴾: تمنعون، تجعلون سدّاً وحائلاً بين النّاس وبين الإيمان.

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تريدونها معوجّة، وليست على ملّة أبيكم إبراهيم الخليل، وكلمة عِوَجاً هنا تأتي مقابل حنيفاً، فإبراهيم عليه السلام أرادها حنيفيّة

مستقيمة، واليهود عندما أنكروا كلّ ما جاء به النّبيّ ﷺ أرادوها معوجّة.

﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: هم شهداء على توراتهم، والمقصود القسم الذي بقي منها غير محرّف، فقد قال لهم الله ﷻ: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ [آل عمران: من الآية ٩٣]، فالتّوراة فيها أشياء غير محرّفة، لكنّهم رفضوا أن يأتوا بالتّوراة؛ لأنّهم كاذبون.

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: مهما عملتم من عمل بالسرّ أو بالعلن فالله مطّلع عليه غير غافل عنكم، يحصي عليكم كلّ الأقوال والأعمال، فكلّ ما حرّفه اليهود وغيّروه وبدّلوه من التّوراة ليس بخافٍ على الله، وسيجازيهم عليه.

(الآية ١٠٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾:

هنا يذكر القرآن السّجال الذي حدث مع اليهود (أهل الكتاب) في المدينة المنوّرة، ويكشف عن بداية تآمرهم على المسلمين بعد الهجرة، فقد كان اليهود يحاولون بشتّى الوسائل، إمّا عن طريق النّقاش أو تقديم الأدلّة المزعومة من توراتهم المحرّفة أن يشكّكوا بكلّ ما جاء به النّبيّ ﷺ.

فقد حذّر ﷻ عباده المؤمنين من أن يطيعوا طائفة من الذين أوتوا الكتاب، الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، وما أكرمهم به من إرسال رسوله كما قال ﷻ في سورة (البقرة): ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: من الآية ١٠٩].

سبب النّزول:

قال زيد بن أسلم: إنّ شاس بن قيس اليهوديّ –وكان شيخاً عظيم الكفر شديد الطّعن على المسلمين– مرّ على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدّثون، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهليّة من العداوة، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة (أي الأوس والخزرج) بهذه البلاد؟! لا والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا بها من قرار، فأمر شابّاً من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم واجلس معهم ثمّ ذكّرهم يوم بُعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقالوا فيه من الأشعار، وكان بُعاث يوماً اقتتلت فيه الأوس مع الخزرج، وكان الظَّفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل وتكلَّم، فتكلّم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتّى تواثب رجلان من الحيّين على الرّكب، أوس بن قبطيّ أحد بني حارثة من الأوس، وجبّار بن صخر أحد بني سَلَمة من الخزرج، فتقاولا ثمّ قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددتها الآن جَذَعة (أي في شبابها)، وغضب الفريقان جميعاً وقالا: قد فعلنا، السّلاحَ السّلاحَ، موعدكم الظّاهرة، وهي حرّة فخرجوا إليها، وانضمّت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهليّة، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتّى جاءهم، فقال ﷺ: «**يا معشر المسلمين، أبدعوى الجاهليّة وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهليّة وألّف بينكم؟ ترجعون إلى ما كنتم عليه كفّاراً؟! الله**

الله»، فعرف القوم أنّها نزغة من الشّيطان وكيد من عدوّهم، فألقوا السّلاح من أيديهم، وبكوا وعانق بعضهم بعضاً، ثمّ انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية: ﴿يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾، قال جابر: فما رأيت قطّ يوماً أقبح أوّلاً، وأحسن آخراً من ذلك اليوم.

هذا فعل اليهود أيّام النّبيّ ﷺ، وكلّ تفرقة نجدها في الأمّة العربيّة والإسلاميّة فإذا بحثنا نجد وراءها أصابع اليهود، أحفاد أولئك الأجداد.

(الآية ١٠١) - ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾: الكفر له معانٍ متعدّدة، هذه المعاني ليست هي المعنى الذي أراد أن يكرّسه التّكفيريّون والإرهابيّون والقَتلة والذين يستغلّون تعابير القرآن الكريم. فتفسير القرآن الكريم لا يؤخذ إلّا من القرآن ذاته، أو من النّبيّ ﷺ كما قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: من الآية ٤٤]، وبما تحتمله اللّغة العربيّة، فإذا لم تكن عالماً بأحوال اللّغة العربيّة فلا يمكن أن تتحدّث بالقرآن الكريم.

وقد ذكرنا سابقاً أنّ كلمة كفر تعني السّتر باللّغة العربيّة، والكافر هو السّاتر، لذلك سمّي الزّرّاع كفّاراً؛ لأنّهم يسترون البذرة في التّراب.

﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾: أي أنّ تلاوة آيات الله ووجود الرّسول ﷺ معهم وازع لهم عن الكفر، ودافع لهم إلى التّمسّك بعُرا الإيمان.

قال قتادة: أمّا الرّسول ﷺ فقد مضى إلى رحمة الله، وأمّا الكتاب فباقٍ على وجه الدّهر، قال ﷺ: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله**»[1].

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ﴾: الاعتصام: هو التّمسّك. من يعتصم بالله، أي يتمسّك بأوامر الله ﷻ. فإذا اعتصم هُديَ وإلّا هوى.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: المستقيم: هو أقصر مسافة بين نقطتين.

الطّريق المستقيم: هو الطّريق الذي يُوصِل إلى الغاية بأقصر السّبل، وهو الذي جاء به القرآن الكريم، والذي يوصل إلى جنّات النّعيم.

(الآية ١٠٢) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "اتّقوا الله حقّ تقاته، وحقّ تقاته أن يُطَاع فلا يُعصَى، وأن يُذكَر فلا يُنسَى، وأن يُشكَر فلا يُكفَر"[2].

فحقّ التّقوى أن يكون إيمان المؤمن راسخاً لا يتذبذب، وألّا تشغله النّعم عن ذكر الله ﷻ وطاعته.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: أي: حافظوا على الإسلام في حال صحّتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإنّ الكريم قد أجرى عادته المنبثقة عن

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الحجّ، باب حجّة النّبيّ ﷺ، الحديث رقم (١٢١٨).

(٢) مصنّف ابن أبي شيبة: كتاب الزّهد، باب كلام ابن مسعود رضي الله عنه، الحديث رقم (٣٤٥٥٣).

كرمه أنّه مَن عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فليكن همّنا المحافظة على نور الإيمان.

فالموت لا اختيار لأحد فيه، ولا يعلم أحد منّا متى يقع عليه، ولنحرص على أن نكون مسلمين متمسّكين بتعاليم الإسلام، فإذا صادفنا الموت في أيّ لحظة متنا على الإسلام.

(الآية ١٠٣) - ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ﴾: كلمة التّوحيد لا يعلو شأنها إلّا بتوحيد كلمة المسلمين، والمذاهب الإسلاميّة هي تفرّعات جوهرها الأمور الهامشيّة، وهي اجتهادات فقهيّة علميّة من أجل إغناء الفكر، والسّعة على النّاس، أمّا إذا تحوّلت المذاهب إلى طائفيّة، فإنّها تصبح دعوى جاهليّة نهى الله ﷻ عنها عندما قال: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾. فلا يمكن أن تعلو كلمة الله إلّا بتوحيد كلمة المسلمين، وليس لهم أن يتفرّقوا على أساس مذهبيّ؛ لأنّ الإسلام هو الجامع الذي يجمع كلّ من انتسب إلى هذا الدّين، بغضّ النّظر عن انتمائه أو اجتهاده المذهبيّ.

لذلك نجد في كلّ مؤتمرات القمّة العربيّة والقمّة الإسلاميّة وفي منظّمة التّعاون الإسلاميّ والجامعة العربيّة نجد هذه الآية قد كُتبت على الجدران،

وأصحاب هذه الدّعوة تفرّقوا وتركوا حبل الله، عكس الآية التي يضعونها كشعار، هذه هي مشكلتنا الحقيقيّة، فعوضاً عن توحيد الكلمة والوقوف إلى جانب أهداف أمّتهم العربيّة ومصالحها يضعون أيديهم بأيدي الصّهاينة والأمريكيّين وكلّ أعداء هذه الأمّة.

﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾: حبل الله هو القرآن الكريم، كما قال النّبيّ ﷺ: «**كتاب الله هو حبل الله الممدود من السّماء إلى الأرض**»[1].

﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾: لذلك قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٩]، فالإسلام يوحّد ولا يفرّق، فمَن يقول: إنّ الإسلام قد قسّم النّاس إلى مذاهب، نقول له: ليس الإسلام مَن قسّم النّاس، وإنّما جهل النّاس هو الذي أدّى بهم إلى هذا التّقسيم، أمّا المذاهب فهي مذاهب علميّة وفكريّة واجتهاديّة، لتوحّد النّاس، جاءت للاجتهاد في الفروع، وليس للاجتهاد في الأصول، فالأصول ثابتة، ولا ضير في الاختلاف في الفروع.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: ما هي نعمة الله الأساسيّة التي أراد الله تبارك وتعالى أن نذكرها باستمرار؟ إنّها حالة الألفة.

﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾: وهذا مصداق قول النّبيّ ﷺ: «**أبدعوى الجاهليّة؟**»، فما هي دعوى الجاهليّة؟

---

(١) كنز العمّال: كتاب الإيمان، الباب الثّاني في الاعتصام بالكتاب والسّنّة، الحديث رقم (٩٢٣).

هي دعوى النّزاع والشّقاق والخلاف والصّراع والقتال، في حين جاء الإسلام فألّف بين القلوب، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: من الآية ٦٣]، فالله ﷻ ألّف بالإسلام، فكلّ دعوة للتّفرقة هي دعوة ضدّ الإسلام.

﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾: قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: من الآية ١٠]، هذه هي الأخوّة الإيمانيّة، فمبدأ الأخوّة، ومبدأ الإنسانيّة، وتكريم بني آدم، والحفاظ على حقوق الإنسان، كلّها مفردات جاءت تحت عنوان تأليف الله ﷻ بين القلوب، وطلبه جلّ وعلا عدم التّفرقة والشّقاق.

﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾: كنتم على شفا حفرة من النّار، وذلك عندما تنادى الأوس والخزرج حين اختلفوا: (السّلاح السّلاح)، وكانوا سيتقاتلون، فالنّتيجة كانت ستودي بهم إلى النّار.

﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾: بأنّكم عدتم إلى رشدكم عندما قال النّبيّ ﷺ: «**يا معشر المسلمين، أبدعوى الجاهليّة وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهليّة وألّف بينكم؟**».

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾: آيات الله: هي حجج الله ﷻ وبراهينه، والآيات تأتي أيضاً بمعنى المعجزات، فعندما دعا صالح عليه السلام قومه ثمود إلى عبادة الله قالوا له: ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشّعراء]، آية: يعني معجزة، فالقرآن الكريم مُعجز في كلامه، مُعجز في مبناه، مُعجز في معناه، لذلك قال الله ﷻ عن القرآن الكريم:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الشّعراء]، ولم يقل: (تلك كلمات الكتاب المبين)، أي يجب أن نعلم أنّ كلّ كلمة في القرآن الكريم فيها معجزة وفيها آية.

فإذا قصُرَت أفهامنا عن المعجزة، فهذا ليس نقصاً في الإعجاز، وإنّما هو نقص في الأفهام.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: هذه المعجزات هي طريق الهداية، فالقرآن الكريم هو كتاب هداية، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: من الآية ٩]، يهدي البشريّة، يُخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور، يهدي النّاس إلى الصّراط المستقيم، وإلى طريق الجنّة.

(الآية ١٠٤) – ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾: كلمة أمّة وردت في القرآن الكريم بعدّة معانٍ:

١– إمّا بمعنى الجماعة من النَّاس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ [يونس: من الآية ٤٧].

٢– أو بمعنى البرهة من الزّمن، كقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: من الآية ٤٥].

٣– وقد تأتي بمعنى الفرد المُقتدى به، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النّحل: من الآية ١٢٠].

٤– وقد تأتي بمعنى الشّريعة والطّريقة، كقوله ﷻ: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝٢٢﴾ [الزّخرف].

و ﴿أُمَّةٌ﴾ هنا أتت على المعنى الأوّل: الجماعة.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾: فهذه الأمّة هي أمّة الخيريّة، كما قال نبيّنا ﷺ: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[1]، لماذا؟ لأنّه يعلم من خلال القرآن الكريم الخير، فإذا ارتكب الشّرور والآثام فلا نعلّق ذلك على القرآن، وإنّما نعلّقه على فهم الإنسان القاصر، فالقرآن لا يدعو إلّا إلى الخير، ولا يأمر إلّا بالخير، الخير لكلّ البشريّة، وللحيوانات، وللنّباتات، وللجمادات، وفي كلّ الحقول والمواقع، قال ﷻ عن رسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، فإذا رأيت شرّاً فاعلم أنّه مخالفة صريحة لكتاب الله ﷻ. فلا تقل: إنّ بذور العنف موجودة في تعاليم الإسلام، وإنّ بذور الإرهاب موجودة في أحكام القرآن، فالقرآن واضح، وعندما لا نفهم مقاصد التّشريع الإسلاميّ لا يجوز لنا أن نتصدّى للدّعوة الإسلاميّة أبداً، ولا أن نقول إنّنا ندعو إلى الله ﷻ، فالذي يدعو إلى الله يدعو إلى الخير، قال ﷻ في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحجّ]، وقال النّبيّ ﷺ: «**الخلق عيال الله، وأحبّ عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله**»[2]، ولم يقل: (المسلمون عيال الله)، بل قال: «**الخلق عيال الله**»، فالله

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه، الحديث رقم (٤٧٣٩).

(٢) شعب الإيمان: باب في طاعة أولي الأمر، الحديث رقم (٧٤٤٥).

تعالى لا يريد منك العبادة لنفعه، وهو القائل في الحديث القدسيّ: «**يا عبادي، إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي، لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً**»[1]، ولكنّه أراد أثر عبادتك على خلقه الذين استدعاهم للوجود، فلا يصحّ أن يصدر شرّ من مسلم تجاه هؤلاء الخلق؛ لأنّ الإسلام هو دعوة الخير إلى عموم الخلق.

﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: أراد الله ﷻ أن يأمر النّاس بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذا هو شرط الخيريّة، فلا يمكن للمعروف والمنكر أن يكونا في هيئة، وإنّما يكونان في الأمّة، فالأمّة هي التي تدعو إلى الخير، وهي التي تأمر بالمعروف، وهي التي تنهى عن المنكر.

فما هو المعروف؟ وما هو المنكر؟

المعروف في أحد تعريفاته: هو ما أردت أن يعرفه النّاس عنك، فهل يوجد من يريد أن يعرف عنه النّاس إلّا الخير؟ حتّى اللّص إذا كان في مجلس وتحدّثوا عن السّرقة فإنّه يُهاجم السّرقة؛ لأنّ النّفوس تُنكر الشّرّ بالفطرة، وتُريد الخير، لذلك المعروف هو ما تُريد أن يعرفَه النّاس.

والمُنكر: هو ما تُريد أن تكتمَه عن النّاس.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم الظّلم، الحديث رقم (٢٥٧٧).

فالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ليس مهمّة خاصّة بمجموعة، فكلّ مُسلم يجب أن يكون آمراً بالمعروف، أي يفعل الخير، ويكون ناهياً عن المنكر، أي يبتعد عمّا يسوءه، والدّليل أنّ الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر]، ولم يقل: (ووصّوا بالحقّ ووصّوا بالصّبر)، فلو كان: (وصّوا): لكان هناك موصٍ، ومُوصَىً له، على حين أنّه قال: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ﴾، أي أنا أوصيك وأنت توصيني، أنا أُذكّرك وأنت تُذكّرني، أنا أُصبّرك وأنت تُصبّرني، فإذاً مطلوب من كلّ الأمّة فعل الخيرات، وهذا مُراد قوله ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾، فالإسلام هو دعوةٌ عامّةٌ إلى الخير.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: كلّ كلمة في القرآن جاذبة لمعناها، وكلمة ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ في اللّغة العربيّة مأخوذة من الفلاحة. وضعت البذور في الأرض، فكان نتيجة ذلك خروج الثّمار، وهنا أيضاً ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ يزرعون فيحصدون.

(الآية ١٠٥) - ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٠٥﴾:

ما زال الخطاب للمجتمع في المدينة المنوّرة عندما كاد الأوس والخزرج يتنازعون نتيجةً لفعل اليهود في الإيقاع بينهم.

وفي القرآن الكريم عندما نتحدّث عن أسباب النّزول تكون العبرة

بعموم المعنى لا بخصوص السّبب، والقرآن نزل منجّماً على رسول الله ﷺ عبر ثلاثة وعشرين عاماً، وهناك أسباب نزول، لكن السّؤال هنا: هل كلام الله ﷻ ينطبق عليه معايير كلام البشر ذاتها؟

المشكلة أنّ عامّة النّاس يخلطون ما بين كلام الله وكلام البشر، والرّسول ﷺ يقول: «**إنّ فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه**»[1]، فالله قويّ وأنت قويّ، الله غنيّ وأنت غنيّ، الله حيّ وأنت حيّ، لكنّك حيّ ثمّ تموت، غنيّ لكن قد يطرأ عليكَ الفقر، قويّ لكن يطرأ عليكَ الضّعف والمرض والهرم، فأنت في عالم أغيار، أمّا الله ﷻ فهو لا يتغيّر ولا يتبدّل، فعليكَ أن تنسب الفعل للفاعل، فعندما يكون المتكلّم هو الله ﷻ، فإنّ معايير الكلام تختلف عن مثيلاتها في الكلام الدّنيويّ، في الكلام الدّنيويّ إذا حدثت الآن حادثة أمامي، فحين أتكلّم ينطبق الكلام على هذه الحادثة. لكنّه قد لا ينطبق على حادثة بعد ألف عام، لكن إذا كان القائل هو الله ﷻ، فإنّ كلامه يشمل كلّ الأزمان، والقرآن الكريم نزل منجّماً، لكن قبل أن ينزل منجّماً، أليس هو كلام الله تبارك وتعالى؟!، ألم يكن في اللّوح المحفوظ كاملاً كما نقرؤه الآن؟! ونزوله لم يكن بنفس ترتيبه كما هو الآن في المصحف، لكنّه في اللّوح المحفوظ هو هكذا، يبدأ من سورة (الفاتحة) ويختتم بسورة (النّاس).

وعندما أراد الله ﷻ أن يثبّت قلب النّبيّ ﷺ، وأن يكون أدعى

---

(١) كنز العمّال: ج١، الحديث رقم (٢٣٦٠).

للتّثبيت بالنّسبة للبشر، جعل الحوادث والأسباب الزّمنيّة تُناسب ما سينزل؛ لأنّه هو الفاعل، ونحن نؤمن إيماناً مُطلقاً أنّه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد].

فخاصّة عموميّة المعنى تعني أنّ كلامه ﷻ ينطبق على كلّ الأزمان وفي كلّ الأحوال وفي كلّ الأماكن، فلا يقولنّ قائل بدعوى أنّه حضاريّ وأنّه متحرّر: إنّ هناك آيات لا تصلح لزماننا، فالزّمن قد تغيّر، والظّروف قد تغيّرت!!، هذا غير صحيح.. فهناك خصوصيّة للسّبب، وعموميّة للمعنى. فعندما يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ فالخطاب لهم، والخطاب لنا، فلا تكونوا كالذين تفرّقوا بعد العلم كما فعل اليهود، وكما فعلت الأمم السّابقة.

﴿ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾: ما جاء به الرّسل والأنبياء عليهم السلام من الكتب السّماويّة.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: لهم عذاب عظيم يوم القيامة، يوم يُحاسب النّاس.

(الآية ١٠٦) – ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾:

﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾: هذا ليس تفرقة في القرآن الكريم بين الأبيض والأسود، وليس عنصريّة، فالبياض والسّواد في لون البشرة في الدّنيا

ليس المقصود منه التّفاوت بين البشر وتفضيل بعضهم على بعض، بل هو أمر يتعلّق بغدد موجودة في الإنسان تلائم البيئة التي يعيش فيها، فسواد الأسود من أجل مصلحة الإنسان، أمّا السّواد والبياض في الآخرة فيتعلّقان بالإشراق النّورانيّ، وليس المقصود السّواد والبياض البيئيّ الموجود في الدّنيا.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾: عبارة: ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ لها معنيان صحيحان:

الأوّل: مَن اسودّت وجوههم كانوا مؤمنين ثمّ انقلبوا إلى الكفر بعد إيمانهم، كما حدث مع المرتدّين.

الثّاني: أنّ المقصود الفطرة السّليمة التي تكون على الإيمان والتي فُطِر النّاس عليها مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف]، ثمّ انحرف أصحابها عنها.

﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾؛ لأنّكم سترتم وجود الله ﷻ، وكفرتم بآياته، وخالفتم أوامره فلكم عذاب عظيم، يُقال لهم ذلك تقريعاً، وما أشدّ هذا على النّفس حين ترى العذاب فتعلم أنّ وسائل النّجاة كانت بيدها لكنّها فرّطت فيها، كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾ [الحجّ].

(الآية ١٠٧) – ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾:

لم يقل ﷻ: ففي الجنّة، ولم يقل: ففي النّعيم، بل قال: ﴿فَفِي رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، فسّرها النّبيّ ﷺ فقال: «**لا يدخل أحدكم الجنّة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله منه برحمة وفضل**»[1]، إذاً نحن ندخل الجنّة برحمة ربّنا أم بأعمالنا؟ الجواب: برحمة ربّنا لكن بأعمالنا؛ لأنّه ﷻ قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النّجم]، فأنت تُجازى على العمل، لكن مَن الذي جعل الجزاء على العمل دخول الجنّة؟ رحمة الله، فلو لم يجعل جزاء العمل الجنّة لما استطاع أحد أن يُغيّر شيئاً، إذاً أنت تدخل الجنّة برحمة الله أن جعل لك الجنّة جزاءً لعملك.

(الآية ١٠٨) - ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٨﴾:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: تلك حجج الله، تلك براهين الله، تلك أوامر الله، تلك معجزات الله، كلّ هذه المعاني صحيحة.

﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ﴾: الحقّ: هو مطابقة القول للفعل، يقول ﷻ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: من الآية ١٠٥].

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: إذا نزل بك العذاب، فمن عملك وكفرك بالله وليس من الله؛ لأنّ رحمته وسعت كلّ شيء، فهل يريد الله ﷻ

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند أبي هريرة ﷺ، الحديث رقم (٧٤٧٣).

أن يُدخِل النّاس النّار ظلماً لهم؟! أم إنّه ﷻ أمرهم أن يعملوا صالحاً ليدخلوا الجنّة؟! هل أمرهم بالمعصية حتّى يدخلوا النّار؟ بماذا أمر؟ ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النّحل]، فالله أمر بكلّ خير.

(الآية ١٠٩) - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩﴾:

يُبيّن الله ﷻ الحقيقة الأبديّة، وهي أنّ كلّ ما في السّماوات وما في الأرض ملكيّته محصورة بالله جلّ وعلا، فمن ملك شيئاً فهذا من عطاء الله تبارك وتعالى، ومَن نُزع منه مُلك فمن عطاء الله أيضاً؛ لأنّه لا ينزع ولا يُعطي إلّا لحكمة، كما قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران]، قال: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ﴾ ولم يقل بيدك الشّرّ، فمن يحبّ الله هو الذي يحبّ الخير ويدعو إلى الخير.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: إذاً كلّ ما في السّماوات وما في الأرض ملك لله ﷻ وإن بدا لك غير ذلك، كأن تملك المال، أو تملك السّلطان، أو تملك الصحّة، لكنّ الحقيقة أنّ ملكيّتها لله تبارك وتعالى، وهو الذي جعل أسباباً في هذه الدّنيا، لذلك لاحظوا دقّة نهاية الآية: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾، فهل كانت الأمور من قبل بيد غير الله حتّى ترجع إليه في النّهاية؟! الجواب: هو قوله ﷻ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ [الرّوم: من الآية

٤]، لكنّ الله ﷻ أراد أن يوضّح هذه المسألة الدّقيقة حتّى لا يغترّ الإنسان، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[آل عمران: من الآية ١٨٥]، فهو في الدّنيا ربط الأسباب بالمسبّبات، فتعلّق النّاس بالأسباب ونَسوا المسبِّب لها، أمّا يوم القيامة فلا توجد أسباب، إذاً تُرجَع الأمور من دون أسباب، أمّا في الدّنيا فأنت تعمل لتأكل، تزرع لتحصد، تدرس لتنجح، كلّ أمر مربوط بمسبِّب، فهناك من يعتقد أنّ السّبب هو الفاعل بذاته، أمّا الحقيقة فهي أنّ الله ﷻ هو الفاعل، وقد وصف نفسه جلّ وعلا بأنّه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج]، في حين أنّه لا يوجد عبدٌ فعّال لما يُريد، ولو ظنّ ذلك، فهو ظنٌّ غير صحيح؛ لأنّه في عالم أغيار يخضع لقوانينه، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه المرض والهرم والموت وغير ذلك من الأمور التي لا تخضع لإرادة الإنسان، فليس من أحدٍ فعّالٌ لما يريد إلّا الله ﷻ، لذلك: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾، أي إنّه جلّ وعلا في الآخرة يُلغي الأسباب الموجودة في الدّنيا، فأنت في الجنّة لا تعمل حتّى تأكل، ولا تتحرّك مدفوعاً بالأسباب.

(الآية ١١٠) - ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾:

متى نكون خير أمّة أُخرجت للنّاس؟

عندما نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله ﷻ فنحن خير أمّة أخرجت للنّاس.

القرآن الكريم نزل هداية للبشريّة، اشترط الإيمان بالله لتحصيل الخيريّة ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، والله ﷻ عندما يتحدّث فإنّه يتحدّث بصيغة الماضي والحاضر والمستقبل، لماذا؟ لأنّه ﷻ لا يخضع لمعايير الزّمن، وإنّما الزّمن مخلوق من مخلوقاته، فلذلك لا نقول عن الله ﷻ: كيف وأين، فلا يوجد معه كيف ولا أين. فعندما قال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فكلّ أمّة وُجِدَت من لدن آدم عليه السلام إلى زمن سيّدنا محمّد ﷺ آمنت بالله وبالرّسل وسارت على نهجهم وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر ينطبق عليها أنّها خير أمّة.

واللّائق بالخير والمعروف أن تعمل العمل لوجه الله ﷻ ولا يكون فيه حظٌّ لنفسك، فأيّ شائبة في عملٍ ما، إذا دخل فيه حظّ النّفس أفسده كما جاء في الحديث القدسيّ: «**أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»(١).

(الآية ١١١) – ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾:

يتآمر اليهود دائماً على المسلمين ويمكرون بهم، ولقد حاولوا –كما تبيّن لنا– أن يوقعوا بين الأوس والخزرج، فأراد الله ﷻ أن يطمئن الأمّة، ويُطمئن صحابة رسول الله ﷺ في ذلك الوقت أنّ اليهود: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ﴾، فما الفرق بين الضّرر وبين الأذى؟

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الزّهد والرّقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، الحديث رقم (٢٩٨٥).

الضّرر: يأتي بعده تبعات، ويبقى له أثر.

الأذى: يذهب بوقته، ليس له تبعات.

مثال توضيحيّ: لو ضرب أحدهم شخصاً ما بيده، فإنّه سيتألّم بوقتها ثمّ يزول الأثر فهذا أذى، أمّا إن ضربه بحجر فجرحه وأسال له الدّم وبقي الأثر فهذا ضرر. فمهما عمل اليهود فإنّهم لن يضرّوكم إلّا أذى، فالنّاتج عن كيدهم أذى مؤقّت ليس له أثر كبير.

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾: فإن قاتلوكم انهزموا وخُذِلوا، وجبن اليهود معروف، فهم لا يقاتلون إلّا من وراء جُدُر.

وهنا إعجاز لغويّ، وهو أنّ جواب الشّرط ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾ مجزوم، و ﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف، فكان المفروض أن يأتي فعل ﴿يُنصَرُونَ﴾ مجزوماً؛ لأنّه معطوف على فعلٍ مجزوم، لكنّه جاء هنا غير مجزوم، فلو قال: (ثمّ لا يُنصروا)، لكان يؤرّخ لمعركة واحدة فقط جرت بين المسلمين وبين اليهود، وسبق أن قلنا: إنّ هناك خصوصيّة في السّبب، لكنّ المهمّ هو عموميّة المعنى، والله ﷻ لا يؤرّخ لحدث معيّن وإنّما يعطي عموميّة، فحتّى تكون صالحة لكلّ زمان جاءت هنا: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾، فجعلها قانوناً عامّاً في كلّ وقت من الأوقات، أي إنّهم لن يُنصروا أبداً، ولن يضرّوكم إلّا أذى، ولن يكون لهم النّصر الحاسم على أمّة محمّد ﷺ، وكذلك استخدام كلمة ﴿ثُمَّ﴾ لتدلّ على التّراخي الزّمنيّ، أي في كلّ لقاء في الأزمنة القادمة لن يكون لهم النّصر الحاسم.

(الآية ١١٢) – ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾:

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ﴾: كما تضرب النّقود، أي تصكّ، مثلاً كيفيّة ضرب اللّيرة أن يُصنع لها قالب، هذا القالب يبرز كلّ ما فيها، هذا هو معنى الضّرب، أي شيء أصيل يُنسخ عنه مثيلٌ له.

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾: لماذا هم أذلّاء؟ الله ﷻ لا يظلم النّاس شيئاً ولكنّ النّاس أنفسهم يظلمون، وقد قال تبارك وتعالى عن اليهود: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠﴾ [النّساء]، نتيجة قتلهم الأنبياء وجحودهم بآيات الله وكثرة المطالب التي طلبوها من سيّدنا موسى عليه السلام ضُربت عليهم الذّلّة أينما ثقفوا، وأينما وجدوا هم أذلّاء إلّا في حالتين:

– الحالة الأولى: ﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الحبل هنا بمعنى الميثاق الذي جعله رسول الله ﷺ لليهود، فعندما جاء ﷺ والمسلمون إلى المدينة المنوّرة لم يبدؤوهم بالعداوة على الإطلاق، وإنّما وقّع معهم النّبيّ ﷺ العهود والمواثيق وهذا ما جرى مع بني النّضير وبني قينقاع وبني قريظة، وكلّ اليهود الذين استوطنوا المدينة المنوّرة، وهذه الذّلّة مضروبة عليهم باستثناء الميثاق الذي تمّ بين رسول الله ﷺ وبينهم.

– الحالة الثّانية: ﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي إنّه لن تقوم قائمة لشعب بني إسرائيل إلّا إذا كان هناك مَن يدعمهم، كما نرى الولايات المتّحدة الأمريكية والغرب كيف يدعمونهم، إذاً هم أذلّاء باستثناء أن يكون هناك ميثاق بينهم وبين المسلمين كما فعل الرّسول ﷺ وهم نقضوا المواثيق والعهود وجرى بعد ذلك ما جرى من إخراجهم من أرض العرب ومن المدينة المنوّرة، إذاً فهذه الآية تبيّن لنا أنّهم أذلّاء إلّا إن كان معهم ميثاق وصدقوا بميثاقهم أو أنّ هناك من يقوم بحمايتهم ودعمهم من النّاس كما نجد في هذه الأيّام مع الولايات المتّحدة الأمريكيّة والغرب.

﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: رَجَعوا به مُستحقّين له.

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾: المسكنة التي ضُربت عليهم بأصولهم وأجدادهم نتيجة لما فعلوه، إذاً هناك ذلّة وهناك مسكنة، أمّا الذّلّة فقد يكون فيها استثناء وهو حبل من الله وحبل من النّاس، أمّا المسكنة فهي جزء من الجينة التي يتوارثونها، ولكن نتيجة ماذا؟

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: ذلك لأنّهم يكفرون ويجحدون بآيات الله، وآيات الله أي المعجزات التي نزلت على شعب بني إسرائيل كثيرة، ولكنّهم كانوا يُقابلونها بالجحود كما أخبر ﷻ: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [النّساء: من الآية ١٥٣]، ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾

[الأعراف]، وكلّما جاءهم موسى عليه السلام بآية من الآيات جحدوا بعدها، رغم أنّهم رأوا بأعينهم هذه الآيات، عندما ضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فانفلق، وعندما ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وعندما أنجاهم الله سبحانه وتعالى من فرعون وقومه.. فكفرهم بما جاءهم من الآيات كان سبباً لما أصابهم من ذلٍّ ومسكنة، وما حلّ بهم من غضب الله، فالله تبارك وتعالى لا يظلم النّاس شيئاً.

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾: فقد قتلوا الكثير من الأنبياء الذين أرسلهم الله لشعب بني إسرائيل، كسيّدنا زكريّا وسيّدنا يحيى وغيرهم من الأنبياء الذين تعرّض لهم اليهود.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾: هناك معصية وهناك اعتداء.

المعصية: هي مخالفة أوامر الله سبحانه وتعالى، وهم لم يكتفوا بالعصيان لكنّهم ثبّتوا عصيانهم باعتدائهم، وهذه النّقطة مهمّة جدّاً. بالمفهوم الإسلاميّ دائماً الاعتداء يجب أن يواجَه بالردّ، فالاعتداء هو العلّة الأساسيّة لكلّ ما ورد في القرآن الكريم من أحكام القتال، فالإسلام لم ينتشر على الإطلاق بقوّة السّيف وإنّما بقوّة الحجّة والبرهان والدّليل، ولكن متى يكون الجهاد؟ ومتى يُرفع السّيف؟ لردّ العدوان. وعندما قرّع الله اليهود لم يقرّعهم فقط لأنّهم عصوا لكن لأنّهم كانوا يعتدون، كما قال عزّ وجلّ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة]، فعندما تُترجَم المعصية بالاعتداء يكون الردّ عليهم

بالقتال، هذا بالنّسبة لدين الإسلام ونظرته إلى مفهوم الجهاد في مقابلة العدوان، أمّا هذا الخلط الذي جرى نتيجة لعوامل كثيرة منها دسّ اليهود في صفوف الإسلام في التّاريخ السّابق، ومنها دسّ الأجهزة الغربيّة في صفوف المسلمين ليصنعوا إسلاماً إرهابيّاً تكفيريّاً سمّوه إسلاماً وهو بعيد كلّ البعد عن الإسلام؛ لأنّ الإسلام لم يحارب أبداً من أجل نشر الدّعوة إلى الله ﷻ، وهنا عندما نُسأل ما هي الدّعوة إلى الله؟ ما هو عنوانها وأصلها وتفسيرها؟ يجب أن نبيّن هذا الأمر للنّاس، فالله ﷻ ليس بحاجة بشر ليدعو إليه، الدّعوة إلى الله هي أن تدعو إلى الخير بالصّورة التي أمر الله، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾ [الحجّ]، فعندما أقول: أنا أدعو إلى الله، فإلى ماذا أدعو؟ أدعو إلى الاستقامة: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٢﴾ [هود]، أدعو إلى عدم الكذب، عدم الرّشوة، عدم السّرقة، عدم الاعتداء، عدم إيذاء الجار، عدم عقوق الوالدين، أدعو إلى كلّ القيم الخيّرة التي أرادها الله ﷻ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران]، فعندما نقول: إنّ فلاناً يدعو إلى الله ﷻ، يجب أن نبيّن أنّ الدّعوة إلى الله تشمل كلّ عناصر الخير؛ لأنّه لا يمكن أن آمر النّاس بالصّلاة وأفصل بين المقاصد وبين الشّعائر، فالصّلاة والصّيام والزّكاة والحجّ شعائر تعبديّة، لكن ما هي المقاصد؟ الأساس في الشّعائر هي المقاصد، يقول عليه الصّلاة والسّلام:

«**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بُعداً**»[1]، فالصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فإذا لم تنه الصّلاة صاحبها عن الفحشاء والمنكر كان هناك فصل بين المقاصد وبين الشّعائر، وكذلك الصّيام قال عنه النّبيّ ﷺ: «**من لم يدع قول الزّور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**»[2]، فمنع كثير من عناصر الشّرّ في الإنسان تكون من خلال هذا الصّيام حيث يقدّم الخير والمساعدة للآخرين... ويكون الامتناع عن الطّعام والشّراب هو الأساس في هذا الخير الذي يصدّره الإنسان المسلم للمجتمع، كذلك شأن الحجّ، يقول ﷺ: «**من حجّ لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمّه**»[3]، وقال تبارك وتعالى عن الزّكاة: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التّوبة: من الآية ١٠٣]، فإذا لم تزكِّ أيّها المؤمن هذه الزّكاة نفسك ولم تطهّرها فأنت فصلت بين الشّعائر وبين المقاصد، ومشكلة المسلمين اليوم هي أنّهم فصلوا بين الشّعائر وبين مقاصد الدّين الأساسيّة التي جاء الإسلام من أجلها، وهي إشاعة الخير لكلّ النّاس، وليس فقط للمسلمين، بدليل أنّ الله ﷻ قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، ولم يقل: (وما أرسلناك إلّا رحمة

---

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب العين، أحاديث عبد الله بن العبّاس، الحديث رقم (١١٠٤٧).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾، الحديث رقم (٥٧١٠).

(٣) صحيح البخاريّ: كتاب الحجّ، باب فضل الحجّ المبرور، الحديث رقم (١٤٤٩).

للمسلمين)، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «**الخلق عيال الله، وأحبّ عباد الله إلى الله أنفعهم لعياله**»[1]، ولم يقل: (المسلمون عيال الله)، هذا الفصل بين الشّعائر التّعبديّة وبين مقاصد الدّين هو السّبب العميق للمشكلة، فمنه دخل الغربيّون والمغرضون واليهود إلى الإسلام لكي يُنتجوا، كما يعتقدون، إسلاماً إرهابيّاً يخيطون له الثّوب الذي يريدونه، لكنّ الإسلام الحقيقيّ يعني السّلام والوئام والخير للمجتمع، أي عكس ما يقولون عنه تماماً.

(الآية ١١٣) – ﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣﴾:

هنا قانون صيانة الاحتمال، فالله جلّ جلاله لا يعمّم، وأكثر الأخطاء تأتي من التّعميم، هو يتحدّث عن أهل الكتاب من اليهود، لكن لا يعني هذا أنّ كلّ اليهود الذين كانوا موجودين تنطبق عليهم هذه الصّفات، فمنهم من كان في قلبه إيمان وصدق وإخلاص، لذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿۞ لَيْسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾.

أمّة: مجموعة من النّاس، لكن لماذا قال: ﴿وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ ونحن نعرف أنّ اليهود ليس في صلاتهم سجود؟ المقصود بالسّجود هنا: الخضوع لله، وهناك عدد من أحبارهم أسلم وصحّ إيمانه، هذا قانون صيانة الاحتمال.

﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾: إِنْيُ اللَّيلِ: سَاعَةٌ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيلِ، وقيام اللّيل أدعى

(١) شعب الإيمان: باب في طاعة أولي الأمر، الحديث رقم (٧٤٤٥).

إلى أن يكون الإنسان قريباً من ربّه، ففي اللّيل تسكن حركة الإنسان وهو وقت الرّاحة، فإذا اختصّ الإنسان هذا الوقت بالتّعبد فسيكون أقرب ما يكون من ربّه، ونحن نعلم كما أخبر النّبيّ ﷺ أنّه: «**أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد**»[1]، فكيف إذا كان سجوده آناء اللّيل، وهناك الكثير من الآيات التي وردت عن قيام اللّيل، كقوله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء].

(الآية ١١٤) – ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾:

﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾: لماذا لم يقل: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؟ دائماً غاية الإيمان ومنتهاه، والدّاعي إلى بقيّة عناصره هو أن تؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا آمنت بالله ولم تؤمن أنّ هناك يوماً سيحاسب الله فيه الإنسان على ما قدّم في هذه الدّنيا فهذا لا يعدّ إيماناً، لذلك نجد الكثير من الآيات القرآنيّة تربط ما بين الإيمان بالله ﷻ والإيمان باليوم الآخر الذي هو نتيجة الإيمان بالله ﷻ.

﴿وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: دليل الإيمان هو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وكما قلنا سابقاً إنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر لا يكون ضمن هيئات، بل هو إشاعة ما تعارف النّاس عليه من خير. لذلك فإنّ الدّعوة إلى الله جلّ وعلا هي دعوة إلى الخير

(١) صحيح مسلم: كتاب الصّلاة، باب ما يُقال في الرّكوع والسّجود، الحديث رقم (٤٨٢).

المطلق لكلّ النّاس، هذا معنى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ﴾: خيرات لكلّ البشر، هذه هي دعوة الإسلام وليست دعوة إلى الشّرور والآثام والقتل والإرهاب والتّطرّف والحقد.

﴿وَيُسَٰرِعُونَ﴾: هناك فارق بين السّرعة والعجلة، العجلة مذمومة والأناة محمودة، لكنّ البطء مذموم والسّرعة محمودة، إذاً للأمر المحمود تُسارع، وللأمر المذموم تسمّيه عجلة، في إحدى المرّات كان سيّدنا عمر بن عبد العزيز يجلس هنيهات للرّاحة نتيجة عمله المتواصل، فجاء ابنه ودخل عليه فسأله: متى ستخرج إلى عمل فلان؟ قال: غداً إن شاء الله، فقال: يا أبي وهل يمهلك القدر إلى الغد؟ فقام معه من فوره، فهذه مسارعة في الخيرات.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الذي يقدّم الخير لغيره، والذي يترجم الإسلام بأعمال خير من الصّدق والأمانة والإيثار والعطاء والمحبّة وعدم الغضب.. كلّ هذه الأمور هي مختصر لأعمال الخير التي يقوم بها الإنسان حتّى يكون صالحاً.

(الآية ١١٥) - ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾:

هناك تركيز في القرآن الكريم على كلمة فعل الخير، إذاً دعوة الإسلام هي دعوة إلى الخير ضدّ الشّرّ، والخير يكون لكلّ النّاس كما يكون المرء لنفسه.

﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ﴾: المعنى: فلن يُستَر عنهم، أي سيُعلم هذا الخير، وسيُشاع بين النّاس، ولن يُستر عن ربّنا، فقد تأتي كلمة كفر وتعني ستر، والدّليل هنا أنّ الله ﷻ أتبعها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

(الآية ١١٦) – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: تحدّثنا سابقاً عن معنى التّكفير والكفر، وقلنا إنّ التّكفير الذي جعلوه عنواناً للإسلام هو غير التّكفير الوارد في القرآن الكريم، هم جعلوا كلمة الكفر مقابلها القتل، في حين أنّ معنى الكفر في اللّغة السّتر، واللّغة العربيّة هي الوعاء الذي نزل به القرآن الكريم، فلذلك لا يعرفُ معاني كتاب الله ﷻ مَن لا يعرف معاني الكلام العربيّ، فمعرفة قواعد وأحوال اللّغة العربيّة شرط أساسيّ لمن يتصدّى لعلوم التّفسير. والآيات السّابقة كانت تتحدّث عن الذين كفروا من أهل الكتاب من اليهود، وهم الّذين كفروا أي ستروا ما جاء في التّوراة من البشارة برسول الله ﷺ فكفروا بما أُنزل عليه من القرآن الكريم.

﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾: وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [الأنفال]، والفتنة هي ابتلاء واختبار للنّاس، فقد يكون المال سائقاً للإنسان إلى فعل الخيرات، إذا لَم يُستَخدم للاحتكار والجشع وإيذاء الآخرين، وقد يكون الولد صالحاً، وهو الذي ذكره النّبيّ ﷺ بقوله: «**إذا مات الإنسان**

انقطع عمله إلّا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم يُنتَفع به، وولد صالح يدعو له»[1]، فهذا الولد الصّالح يؤدّي إلى النّجاة من السّقوط في هذه الفتنة، فإذا ربّى الأبُ والأمُّ الأولادَ تربيةً صحيحةً فإنّ ذلك سينعكس عليهما، والعكس صحيح؛ لأنّ الله ﷻ يقول في سورة (الكهف): ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: من الآية ٨٢]، فصلاح الآباء يمتدّ إلى الأبناء، وقد يكون الولدُ بعدم رعاية أبويه سيّئاً فيفشل الأبوان في هذا الامتحان. فإذاً الأولاد والأموال فتنة أي اختبار، وهنا يقول تبارك وتعالى: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: أي لن تكون سبباً في نجاتهم أو تفضيلهم عند الله ﷻ، كما يعتقد بعض النّاس أنّ هذين العنصرين الأساسيّين في الدّنيا، وهما الأولاد والأموال، قد ينفعان الإنسان في آخرته، فيبيّن تعالى أنّه لا قيمة لهما عنده إلّا إذا كانا كما أمر تعالى، أي أن يكون الولد صالحاً وأن يستخدم المال في فعل الخير.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: لماذا قال عنهم أصحاب، والصّاحب هو الذي يختار صاحبه؟! لأنّهم هم الذين اختاروا النّار بأعمالهم، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النّجم]، ويقول ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الأحكام، باب في الوقف، الحديث رقم (١٣٧٦).

(الآية ١١٧) - ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾:

هذا الحديث عن اليهود وعن كلّ من يفعل ذلك، فمَثَلُ الذي يُنفِق في سبيل الشّرّ والاحتكار والظّلم والأذى كمثل ريح فيها صرّ، والصّرّ: هو البرد الشّديد، فإنفاقهم كريح فيها بردٌ شديدٌ فأصابت حرثاً أي زرعاً، لماذا يسمّي الله الزّرع حرثاً؟ لأنّه يبيّن أنّك إذا حرثت فإنّك ستحصل على النّتيجة، فالزّرع يكون نتيجة حرث الأرض وتمهيدها من أجل الزّراعة فهي من فعل الإنسان. فإن كانت الرّيح فيها هذا البرد الشّديد فماذا تعمل؟ قطعاً ستهلك الزّرع، انظر لهذا المثل العظيم الذي ضربه الله تبارك وتعالى للذي يُنفق رياء وفي غير ما أمر الله ﷻ، فيتبدّد إنفاقه ويتلاشى.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: هم الذين ظلموا أنفسهم؛ لأنّ الله ﷻ أعطاهم المال والولدان ولكنّهم بغوا وطغوا وخالفوا أوامره.

(الآية ١١٨) - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾:

التّكاليف الإيمانيّة والأوامر الإلهيّة تأتي عادةً بعد قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهناك ميثاق علينا جميعاً هو ميثاق الإيمان، فلو أنّك لم تعلم الحكمة من الأمر الإلهيّ، فأنت ملتزم بالتّنفيذ بموجب ميثاق الإيمان، فعندما

يمرض الإنسان مرضاً في المعدة مثلاً فإنّه يبحث عن أشهر طبيب هضميّة، فإذا ذهب للطّبيب الذي يثق به، فإنّه سينفّذ ما يقوله له ولو أعطاه دواءً مرّاً، أو طلب منه أن يجري له عمليّة جراحيّة، فعندما آمن بالطّبيب لم يناقش أمره، ونحن لا نقول: إنّنا لا نريد أن نعرف العلّة أو الحكمة، لكنّنا نلتزم بأوامر الله ولو غابت عنّا الحكمة من ورائها، لذلك تبدأ كلّ التّكاليف دائماً بعبارة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ التي هي عهد الإيمان أنّك آمنت بالله ربّاً حكيماً.

﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾: البطانة التي يبطّن بها الثّوب من الدّاخل، أي التي تلتصق بالجسم، والبطانة هم الخاصّة الذين يسرّ لهم الإنسان بكلّ أموره وأحواله وكلّ ما يتعلّق به، يقولون: بطانة فلان؛ إمّا بطانة خيرٍ أو بطانة شرٍّ.

﴿مِّن دُونِكُمۡ﴾: وهم من اليهود الذين تربطهم بهم علاقات، أو من أقربائهم المشركين.

﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾: الخبال ما يجتاح العقل فيحدث تشويشاً في العقل والفكر، فإذاً دور هذه البطانة أن تسبّب تشويشاً وتخليطاً في أفكاركم.

﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾: أي يريدون إعناتكم، والله ﷻ لا يريد العنت، أي: المشقّة للإنسان بل يريد اليسر للعباد، قال ﷻ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٥]، وقال ﷺ: «**يسّروا ولا تُعسّروا**

وبشّروا ولا تنفّروا»[1].

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: البغضاء أي: الكره للمؤمنين في ذلك الوقت، فكان يظهر كرههم من كلامهم الّذي ينطقون به، والله ﷻ لا يعلم ذلك فقط في الكلام، وإنّما يعلم ما تُخفي الصّدور.

﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾: أكبر من البغض والحقد على سيّدنا رسول الله ﷺ، وعلى أمّة سيّدنا رسول الله.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: معنى الآيات هنا: الحجج والبراهين.

قد بيّنا لكم كلّ الحجج والبراهين لعلّكم تعقلون، لماذا؟ لأنّ الحديث كان عن الخبال الذي يجتاح العقل والفكر، فجاءت العبارة هنا: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ لأنّ الإسلام يخاطب العقل ولا يخاطب الغريزة والفطرة فقط، بل يريد أن يكون العقل أداة للوصول إلى الإيمان، فبعث الله تبارك وتعالى الأنبياء والرّسل عليهم السلام والكتب ليقيم الحجّة على من أرسلوا إليهم، بدليل مجادلة الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، ولو أنّنا أجملنا كلّ القصص القرآنيّ لوجدنا أنّ حركة كلّ الأنبياء التي أوردها القرآن الكريم تبرز دور الحوار والنّقاش مع المخالفين لهم، وليس فيها دور السّيف والقتال.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب العلم، باب ما كان النّبيّ ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم، الحديث رقم (٦٩).

(الآية ١١٩) - ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾:

المسلمون بطبيعتهم كما تربّوا على الالتزام بالإسلام تربّوا على المحبّة، والدّين هو إشاعة المحبّة والرّحمة بين النّاس جميعاً، فإذاً هم بطبيعتهم وبطبيعة دينهم وقرآنهم وإيمانهم يحبّون النّاس جميعاً، كما قال ﷻ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾، لكنّ اليهود بالمقابل كانوا يضمرون العداوة للمؤمنين.

﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾: تؤمنون بكلّ ما ورد في القرآن الكريم، وبكلّ الكتب السّماويّة التي أُنزلت من عند الله ﷻ، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة]، نحن قلنا سمعنا وأطعنا، بينما قال اليهود: سمعنا وعصينا.

﴿وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾: هذا النّفاق الذي كان من اليهود، فكانوا يجلسون مع المؤمنين يقولون: آمنّا بما جاءكم، ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾: وهو تعبير عن الغضب الشّديد، والأنامل هي أطراف الأصابع، وعضّ الأنامل هو تعبير نفسيّ نتيجة الغيظ الشّديد بأنّهم تحمّلوا خلال فترة وجودهم مع المسلمين عبء ملاطفتهم، فعندما يجلسون في اللّيل أو يجلسون إلى أصحابهم يعضّون الأنامل من الغيظ من المسلمين والمؤمنين.

﴿قُلۡ﴾: قل يا محمّد، والمراد: قولوا أنتم جميعاً.

﴿مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾: موتوا: تعبير عن شدّة ما يؤثّر الغيظ في الإنسان، لذلك النّبيّ ﷺ عندما جاءه رجل وقال: أوصني يا رسول الله، ماذا قال له؟ قال: «**لا تغضب**»، فردّد مراراً، قال: «**لا تغضب**»[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤]، فمطلوب منّا كظم الغيظ وعدم الغضب، أمّا هم فقال لهم: موتوا بغيظكم؛ لأنّه لا يوجد بينهم محسنون أو مصلحون.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾؛ لأنّ الصّدر هو الّذي يحتوي مخزون العمل، «**إنّما الأعمال بالنّيات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى**»[2]، هذا الحديث المشهور عن سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يُقال عنه: إنّه نصف الدّين، لماذا؟ لأنّ النّيّة هي أساس الإخلاص.

(الآية ١٢٠) – ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾:

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ﴾: بمجرد أن تأتيكم نعمة بسيطة يغتاظون منها، فهم لا يريدون لكم الخير على الإطلاق، أمّا إذا أصابتكم سيّئة، فإنّهم لا يريدون أن تلمّ بكم بل يريدون إصابة مباشرة

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، الحديث رقم (٥٧٦٥).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، الحديث رقم (١).

من هذه السّيّئة؛ ليفرحوا بها، وهم إنّما يفرحون حين يتأكّدون أنّ السّيّئة قد نزلت بكم في الصّميم، انظروا إلى دقّة الأداء القرآنيّ.

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾: هذا قانون إلهيّ، وقد قدّم الله ﷻ الصّبر على التّقوى، فالضّرر لن يقع إذا أنت تسلّحت بالسّلاحين معاً؛ لأنّ الصّبر على ما أصابك هو جزء من إيمانك، فإن لم تهلع ولم تجزع وصبرت فقد انتصرت، و«**الصّبر نصف الإيمان**»(١) كما قال عليه الصّلاة والسّلام، لذلك قال ﷻ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة]، قال: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ولم يقل (المتّقين).

﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗاۗ﴾: مهما كادوا لكم ومهما مكروا فلن يضرّوكم، فهم لا يعرفون أنّ الله ﷻ أدخل المؤمنين في معيّته، وعندما قال قوم سيّدنا موسى له: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ [الشّعراء: من الآية ٦١]، كان جوابه: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ [الشّعراء].

(الآية ١٢١) - ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾:

هنا يُفاجأ الإنسان بأنّ الله ﷻ عندما تحدّث عن السّلاح الّذي يواجه فيه الإنسان الحياة وصعوباتها، والمكائد التي كان يقوم بها اليهود وغيرهم من أعداء الأمّة وأعداء الدّين، فإنّه أراد أن يؤرّخ إيمانيّاً لغزوة بدر التي كانت الفاصل بين الحقّ والباطل، والتي سمّاها ﷻ معركة الفرقان، ولكنّه

(١) مسند الشّهاب: الصّبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كلّه، الحديث رقم (١٥٨).

لم يذكر النّصر مباشرة، بل قدّم للنّصر الكبير الذي حدث في غزوة بدر بما حدث من نكسة في غزوة أُحُد، لماذا؟ لنرى كيف أنّ القرآن الكريم يعالج من كلّ الجوانب، أراد الله أن يتحدّث عن نصر بدر العزيز المؤزّر الذي كان له أسبابه وهي الصّبر والتّقوى والالتزام، وأراد أن يبيّن ما هو سبب انتكاسة معركة أُحُد؛ فهذه الدّنيا قائمة على الأسباب، وأيّ مخالفة للأوامر السّببيّة التي أطلقها النّبيّ ﷺ ستكون سبباً في نكسة، (مخالفة للأوامر السّببيّة، وليس الأوامر الإيمانيّة)، فإن لم نعالج الأمور بسنن الله ﷻ في كونه فلن نحقّق النّصر، فلا يكفي أن نأخذ الأوامر الإيمانيّة كالصّبر والتّقوى فقط؛ لأنّ عناصر النّصر لها أسباب، ومنها الأوامر العسكريّة التي علينا الالتزام بها أيضاً.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: الغدوة: الصّباح الباكر. من أهلك: كان ﷺ في منزل السّيّدة عائشة رضي الله عنها. تبوّئ: أي توطِّن.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جعل النّبيّ ﷺ على الرّجالة يوم أُحُد -وكانوا خمسين رجلاً- عبد الله بن جبير فقال: «**إن رأيتمونا تخطفنا الطّير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتّى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتّى أرسل إليكم**»، فهزموهم، قال: "فأنا والله رأيت النّساء يشتددن، قد بدت خلاخلهنّ وأسوقهنّ، رافعات ثيابهنّ"، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: "الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟"، فقال عبد الله بن جبير: "أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟"، قالوا: "والله لنأتينّ النّاس فلنصيبنّ من الغنيمة"، فلمّا أتوهم صرفت وجوههم

فأقبلوا منهزمين[1].

فرسول الله ﷺ وطّنهم في مكانهم على رأس جبل أُحُد من أجل أن يحموا ظهورهم، فمخالفة هذا الأمر أدّت إلى نكسة أُحُد، حيث أنّ الرّماة عندما رأوا النّصر ونزلوا من على الجبل خالفوا أمراً سببيّاً من أوامر سيّدنا رسول الله ﷺ ممّا أدّى إلى النّكسة.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾: الله ﷻ يسمع أوامر النّبيّ ﷺ للمؤمنين ألّا يغادروا أماكنهم، وهو عليمٌ بما فعلوا.

(الآية ١٢٢) - ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾:

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾: هم بنو حارثة من الأوس، وبنو سَلَمة من الخزرج.

همّت: الهمّ يكون داخل النّفس، أن تفشلا: أن تجبنا عن القتال. وذلك عندما رجع عبد الله بن أبي بن سلول قائلاً: لو علمنا قتالاً لاتّبعناكم، وكاد بنو حارثة وبنو سَلَمة أن يلحقوا به، لكنّهم ثبتوا وقالوا: الحمد لله أنّنا هممنا ولم نفعل، فالله ﷻ وليّنا؛ لأنّه قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ﴾، وثبّتهم الله ﷻ على الإيمان.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: بعد الأخذ بالسّبب يأتي التّوكل،

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجهاد والسّير، باب ما يكره من التّنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، الحديث رقم (٢٨٧٤).

تأخذ بالأسباب وبعد ذلك تتوكّل؛ لأنّ التّوكّل هو عمل القلب وليس عمل الجارحة التي لا بدّ لها من الأخذ بالسّبب.

(الآية ١٢٣) - ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾:

كانت الآيات السّابقة تتحدّث عن غزوة أُحُد، وكان هذا تقديماً بآيتين عن غزوة أُحُد ثمّ جاء الاستدلال بغزوة بدر وهذا له معان عميقة، فالقرآن الكريم لا يؤرّخ للحدث، وإنّما يعطي عموميّة الفائدة والدّروس المستخلصة لكلّ زمان ومكان، فدمج آيتين عن غزوة أُحُد بالقصّة الكاملة عن غزوة بدر، وأتبعها بجزئيّات غزوة بدر والنّصر فيها، بعد ذلك تأتي أكثر من ستّين آية تتعلّق بغزوة أُحُد، وهذه الغزوات التي تمّت كان فيها رسول الله ﷺ هو القائد، ويؤخَذ منها دروس وعبر، وهنا يقول الله موضّحاً أنّ نصر الله ﷻ لا يتعلّق فقط بالأخذ بالأسباب، مع التّأكيد على أنّه لا بدّ من الأخذ بها، ولا بدّ من أن يحتاط الإنسان عند لقاء العدوّ بكلّ العوامل المتعلّقة بالأسباب الدّنيويّة، وبعد ذلك فإنّ النّصر يكون من عند الله ﷻ، وهنا يأتي دور المدد الإيمانيّ، والقوّة الإيمانيّة التي يمكن أن تغلب قوّة السّلاح، لذلك كانت غزوة بدر معركة رائدة في تاريخ الأمّة العربيّة والإسلاميّة، استطاع فيها عدد قليل من المؤمنين أن ينتصروا نصراً عزيزاً مؤزّراً بفضل الله، فيقول الله عن تلك الموقعة:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾: أي كنتم قلّة، وكما هو معلوم

للجميع أنّها كانت في رمضان في العام الثّاني للهجرة، والنّاس في صيام، وإذ قافلة لأبي سفيان فيها أموال المسلمين وفيها كلّ ما تركوه ونهبه المشركون في ذلك الوقت في مكّة منهم، فاعترضهم النّبيّ ﷺ مع فئة قليلة من المهاجرين والأنصار لا تزيد كثيراً عن الثّلاث مئة، أمّا أبو سفيان فقد أوصل الخبر إلى قريش وجاء جيش جرّار بقيادة أبي جهل، ويعدّ أكثر من ألف مقاتل، أي أكثر من ثلاثة أضعاف المسلمين، فقال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: وأساس الشّكر هو التّقوى، فعندما يكون الإنسان تقيّاً، فإنّه يشكر المولى على النّعم، وكذلك عندما أنعم الله على المؤمنين بهذا النّصر المؤزّر جعل ﷻ أداة الشّكر التّقوى، وهذه لفتةٌ مهمّةٌ؛ لأنّك إذا أردت أن تشكر فلا بدّ من أن تكون تقيّاً حتّى تحقّق غاية الشّكر، لذلك عندما تريد أن تشكر الله فهل شكر الله على النّعم وعلى دوامها يكون بالكلام فقط؟ هذا يتحقّق مع البشر، فإذا أدّى إليك إنسان معروفاً ما فإنّك تقدّم له بيتاً من الشّعر أو قصيدة جميلة أو تتكلّم بكلمات نديّة وعبارات رقيقة تقدّم فيها الشّكر له، لكنّ الله علّمنا أنّ الشّكر يكون بكلمة واحدة هذه الكلمة تكون من كلّ فئات النّاس، العالم والجاهل المتعلّم وغير المتعلّم، بكلمة واحدة هي: الحمد لله، ولكنّ هذه الكلمة ليست مناط الأمر، لأنّها هي الجسد، فأمّا الرّوح فهي أن تكون تقيّاً لله، لذلك قال جلّ وعلا: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي إنّ الشّكر مرتبط بالتّقوى، والتّقوى هي جوامع الخير، فمطلوب منك جوامع الخير، أنت تريد أن تدلّل على أنّك

ملتزم بالدّين والإيمان، فكيف تدلّل على ذلك؟ هل ندلّل على ذلك بإقامة الشّعائر فقط من صلاة وحجّ وزكاة وصوم لرمضان فقط؟ لا طبعاً؛ لأنّ النّبيّ قال: «**بُني الإسلامُ على خمس: شهادة أنْ لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، وإقامِ الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، والحجّ، وصوم رمضان**»[1]، ولم يقل: إنّ الإسلام هو الخمس، فالإسلام بُني على أركان هي العبادات، وعندما توصلك هذه العبادات إلى مقاصد الدّين فبذلك يتحقّق الإسلام، يتحقّق الإسلام بكلّ عمل خير، بأن تنتهي عمّا نهاك الله، وأن تأتمر بما أمرك الله، بشكل يكون هناك تكافؤٌ بين الأمر والاستجابة، يُضاف إلى ذلك شعورٌ بالضّعيف والمحتاجين، وأن لا تكذب ولا تسرق ولا تنمّ ولا تغتاب ولا ترتشي، هذه النّواهي التي نهى الله ﷻ عنها هي باختصار التّقوى، هي جوامع الخير، وهي الالتزام بأوامر الله ﷻ والانتهاء عمّا نهى عنه، عندها تؤدّي الشّكر بتمامه.

(الآية ١٢٤) – ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾:

الخطاب لسيّدنا رسول الله ﷺ، فقد كان النّبيّ ﷺ يرفع الهمم في ذلك الوقت حيث كان العدوّ أكثر منهم عتاداً وعدّة، فعندما وجدوا هذا كان لا بدّ لتقوية الرّوح المعنويّة أن تلعب دوراً هامّاً هنا، فالنّبيّ ﷺ يشدّ

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النّبيّ ﷺ: «**بني الإسلام على خمس**»، الحديث رقم (٨).

من أزر أصحابه في ذلك الموقف العظيم فيقول: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾، ليقاتلوا معكم.

(الآية ١٢٥) – ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾:

يؤكّد الله ﷻ قول النّبيّ ﷺ بأنّه سينزّل الملائكة التي وعد النّبيّ ﷺ أصحابه بها بقوله ﷻ: ﴿بَلَىٰٓ﴾.

إذاً هناك شرطان لكسب المعركة ولتنزّل الملائكة بيّنهما القرآن الكريم في هذه الآيات: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾، وقدّم الصّبر على التّقوى، كما قدّم الصّبر على الصّلاة في آيات أخرى فقال جلّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة]، إذاً المعركة تحتاج إلى صبر، والعلم يحتاج إلى صبر، والتّقدّم يحتاج إلى صبر، ومجاهدة النّفس تحتاج إلى صبر، والخوض في الحياة يحتاج إلى صبر، فالصّبر هو سلاح المؤمن الأساسيّ، لكنّ الصّبر يمتزج مع التّقوى ويمتزج مع الصّلاة، والصّلاة هي علامة من علامات التّقوى.

ماهي الأسلحة التي يجب أن نستعين بها بعد أن نأخذ بالأسلحة العدديّة والقتاليّة، وبعد أن نعدّ العدّة من خلال الأسباب الدّنيويّة؟ هناك سلاحان: هما الصّبر والتّقوى.

﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾: ما معنى من فورهم؟ أي من وقتهم، في هذا الوقت تحديداً.

﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: مسوّمين: معلَّمين، أي العلامة ظاهرة عليهم، والفارس المعلّم هو الفارس المميّز.

(الآية ١٢٦) – ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾:

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ﴾: أي ما جعل إنزال الملائكة عليكم للمقاتلة معكم إلّا بشرى لكم، لماذا؟ لأنّ النّصر من عند الله ﷻ وحده، لذلك أتبعها بقوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، فالنّصر ليس بالملائكة، فإذا أراد الله نصر المؤمنين فهو ليس بحاجة إلى أن يمدّهم بملائكة تقاتل إلى جانبهم، فأراد ﷻ أن يبيّن هذه الجزئيّة فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ﴾، إذاً إنزال الملائكة عليهم السلام بشرى وطمئنة للصّحابة وتقرير أنّ هناك كثرة تقاتل معهم، أمّا النّصر فهو مكتوب وهو من عند الله وليس من الملائكة ومن قتالهم معهم. لذلك قبل المعركة عندما كان النّبيّ ﷺ طيلة ليلة السّابع عشر من رمضان ليلة غزوة بدر يدعو ربّه، كما روى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: لمّا كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مئة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل ﷺ القبلة ثمّ مدّ يديه فجعل يهتف بربّه: «**اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني، اللّهمّ آتني ما وعدتني، اللّهمّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**»، فما زال يهتف بربّه مادّاً يديه مستقبل القبلة حتّى سقط رداؤه عن

منكبيه، فأتاه أبو بكر ﷺ فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثمّ التزمه من ورائه وقال: يا نبيّ الله! كفاك مناشدتك ربّك فإنّه سينجز لك ما وعدك[1]، فالنّبيّ ﷺ كان يدعو الله وهو متيقّن من الإجابة وهو متيقّن أيضاً من النّصر؛ لأنّه نزل عليه قبل غزوة بدر قوله ﷻ: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر]، سيقول قائل: طالما أنّه متيقّن، فلماذا يدعو كلّ اللّيل؟ إنّه يقدّم ثمن النّصر مسبقاً، فالدّعاء إمّا أن يكون لحاجة وإمّا أن يكون عبادة، بمجرد الدّعاء فإنّك تؤدّي ثمن النّصر فكان النّبيّ ﷺ يريد أن يسدّد ثمن النّصر مقدّماً، إذاً إنزال الملائكة كان تطميناً للصّحابة أثناء القتال وليس لأنّهم هم الذين يصنعون النّصر، فالنّصر من عند الله العزيز الحكيم كما قال ﷻ: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾، لماذا لم يقل: المنتقم الجبّار؟ لماذا لم يقل: القويّ العليم؟ في القرآن الكريم كلّ كلمة جاذبة لمعناها، تأتي صفات الله ﷻ موافقة للأحداث التي جرت بها الآية، فالله ﷻ عزيز: أي لا يُغلب، وهو حكيم: يضع النّصر في الوقت الذي يراه مناسباً.

(الآية ١٢٧) - ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ۝١٢٧﴾:

﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا﴾: طرفاً: جزءاً، هناك دورات للباطل في هذه الحياة، إمّا بالقتال وإمّا من الأرض وإمّا من المال، وليس ليقطعهم نهائيّاً، وإنّما ليقطع

(١) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسّير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، الحديث رقم (١٧٦٣).

طرفاً، فقد بقي كثير من المشركين بعد المعركة وآمنوا بعد ذلك، والدّليل أنّ ممّن كان يقود المعركة خرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً مثل عكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد وغيرهم رضي الله عنهم.. فلذلك تأتي الآيات لتعبّر عن مراد الله ومشيئته بشكل دقيق: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، ولم يقل: كلّ الذين كفروا.

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يكبتهم أي لا يحقّق لهم النّصر ويعودون بخيبة أمل بأنّهم لم يستطيعوا أن يقضوا على دعوة النّبيّ محمّد ﷺ.

(الآية ١٢٨) – ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾:

يخاطب الله سبحانه وتعالى أشرف خلقه وهو سيّدنا رسول الله ﷺ فيقول له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾، فالنّبيّ ﷺ ليس له من الأمر شيء إذا أراد الله أن يتوب عليهم، أو يعذّبهم، فالأمر لله لذلك أتبع ذلك بقوله:

(الآية ١٢٩) – ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إيّاكم أن تعتقدوا أنّ الملكيّة في هذه الدّنيا لكم، حتّى الإرادة التي جعلها الله للإنسان لولا أنّه أراد أن تكون له إرادة لما أراد الإنسان، وهنا أدخل بالعقيدة حيث يقول بعضهم: إذا كان الله أطلق مشيئته كيفما شاء فإذاً لماذا الإيمان؟ ولماذا الإشراك؟ ولماذا الكفر؟ ولماذا هذا العذاب ولماذا..؟ الجواب: أنّه إذا كان يعذّب من يشاء ويغفر لمن

يشاء، فالله ﷻ أطلق المشيئة له وجعل لك مشيئة في الاختيار، ولو أنّه أراد أن لا تختار شيئاً من شؤونك هل كنت تستطيع أن تختار؟ قال ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصّلت]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢﴾ [الأحزاب]، هذه أمانة الاختيار فإنّ الله ﷻ جعل لك مشيئة، فأنت تُحاسب على مشيئتك لا تُحاسب على مشيئته هو، فقد شاء أن تكون لك مشيئة، أمّا قضيّة أنّه علم في الأزل ماذا ستختار أنت وماذا ستشاء أنت، فهذه لا علاقة لها بحسابك، ولا علاقة لعلمه باختيارك، أنت تُحاسب على اختيارك، وقد بيّن الله لك الطّريق: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان]، وأنت عندما تختار إذا كان الله عَلِمَ مسبقاً ماذا ستختار فأنت لا تستطيع أن تقول: لقد علمت يا ربّ بأنني سأعصيك، فكيف تُحاسبني على ما عصيت؟ وما الذي أدراك أنّه علم أنّك ستعصيه؟! لماذا لا تقول: إنّه علم أنّك ستطيعه مثلاً؟ فإذاً علْم الله علم كاشف، فلا يستطيع أحد أن يتحجّج بأنّ الله يعلم وأنّ مشيئته هي التي خُلق المرء بها مشركاً أو عاصياً أو كافراً.. إلخ، الله جعل لك العقل وترك لك الخيار، سيّرك في أمور وخيّرك في أمور، ولم يحاسبك إلّا على الاختيار، وأرسل لك الرّسل، وجعل لك عقلاً لتتفكّر في آلاء الله وفي معجزاته وفي لمحات إبداع الله في خلقه لتدلّك على الله، وتهتدي عن طريق الرّسل والكتب السّماويّة، فإن عصيت بعد ذلك فلا تلومنّ إلّا نفسك. إذاً لله ما في السّماوات وما في الأرض، أنت قد تعتقد

أنّ لك ملكيّة فتقول: أنا أملك الثّوب والمكان، أو أنا مَلِكٌ أملك القرار، أنا أعتقد بشكل جزئيّ سببيّ أنّني صاحب الملك، لكنّ الأمر في الحقيقة ليس كما تعتقد: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران]، أنت تعتقد بأنّك تملك ولكنّ الحقيقة تقول: إنّ المُلك لله، وهذا ما يتقرّر يوم القيامة، يقول الله ﷻ: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر]، لماذا هذا السّؤال؟ لأنّه في يوم القيامة انتهت الأسباب، فعندما تنتهي الأسباب يُصبح واضحاً أنّ المُلك لله الواحد القهّار، أمّا في دنيا الأسباب فقد يعتقد بعض النّاس أنّ فلاناً يضرّ وينفع، وأنّ الماء يروي العطش.. إلخ؛ لأنّ الدّنيا مربوطة بالأسباب، ولكنّنا ننسى المسبّب مع وجود الأسباب، أمّا يوم القيامة فلا يكون للسّبب وجود.

﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: قدّم المغفرة على العذاب، وقال بعدها: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الله ﷻ يرسل للبشر رسالات الحبّ؛ لأنّ الله غفور يغفر الذّنوب، وفوق أنّه غفور فهو رحيم؛ لأنّ الرّحمة أوسع من المغفرة، المغفرة: هي أن يمسح عن صحيفتك، أمّا الرّحمة: فهي أنّه لا يعاقبك بالذّنب ويُدخلك الجنّة، كما قال ﷺ: «**لا يدخل أحدكم الجنّة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله منه برحمة وفضل**»[1]، ورحمة الله هي التي بادرنا بها ربّنا، وكما نعلم فإنّ القرآن بدأ

(١) مسند أحمد بن حنبل: مسند أبي هريرة ﷺ، الحديث رقم (٧٤٧٣).

الآيات من سورة (الفاتحة): ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة]، والنّبيّ من صفاته الرّحمة، قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء]، ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٢٨﴾ [التّوبة]، فالإسلام ليس دين القسوة والعنف، وإنّما هو دين اللّطف والمحبّة، هو بناء للإنسان وللحياة: ﴿*وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: من الآية ٧٠]، ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: من الآية ٣٢]، هذه دعوة الإسلام، وهي واضحة في ثنايا القرآن الكريم، وفي سنّة وهدي وسيرة وسلوك وأوامر ونواهي سيّدنا وحبيبنا رسول الله ﷺ، وفي فعل الصّحابة الكرام رضي الله عنهم.

(الآية ١٣٠) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٣٠﴾:

هذا موضع نتساءل فيه كعقل بشريّ محدود، فالآيات السّابقة كانت تتحدّث عن غزوة بدر الكبرى وغزوة أُحُد، فلماذا ننتقل إلى الحديث عن الرّبا؟ وسنجد المستشرقين والذين لا يعلمون الفرق بين كلام الله وكلام البشر يقولون: لماذا قطع القرآن الكريم الحديث عن الغزوة وأدخل موضوعاً آخراً؟ فلو كان القرآن الكريم من عند البشر لكان كلامهم صحيحاً مئة بالمئة، أمّا وأنّ القرآن الكريم هو كلام ربّ البشر إذاً هناك قصور في فهمنا لهذا المعنى الدّقيق العظيم، ففي غزوة أُحُد خالف الرّماة أمر النّبيّ ﷺ، وتركوا

جبل أُحُد من أجل الغنائم، التي هي زيادة في المال، ولكن ما معنى الرّبا؟ الرّبا هو الطّمع في الزّيادة في المال، لو أنّ الله ﷻ لم يُدخل آيات الرّبا في هذا الموضع لكان الحديث عن غزوتَي أُحُد وبدر هو حديث تأريخ لمعركة، والله لا يؤرّخ للأحداث، فالقصص القرآنيّ الموجود في كتاب الله ليس الهدف منه تأريخ الحدث أبداً، وإنّما المراد العبرة الباقية بعموم المعنى إلى يوم الدّين، فأنت كيف تعمّق هذا الحدث؟ الحدث له زمن لكن هذا الزّمن ينتهي بانتهاء الحدث، أمّا عمق هذا الأمر فيمتدّ عبر الزّمن، فعمق الحدث الذي أدّى بالرّماة إلى المخالفة في موقعة أُحُد هو حبّ زيادة المال (الغنائم)، والرّبا طمع في زيادة المال، فمن قرأ القرآن بعمق لوجد أنّ عمق الحدث هو امتداد في موضوع الرّبا؛ لذلك قال ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾: استخدم كلمة (أكل) عند حديثه عن الرّبا، وكلّ ما يتعلّق بالمال يُستخدم له لفظة: (أكل):

١- لأنّ فيه شراهة.

٢- وأيضاً لأنّ جزءاً كبيراً منه يتحوّل إلى طعام.

﴿أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾: الرّبا هو أن يكون رأس المال مئة ليرة فيصبح مئة وعشرين، المئة والعشرون تصبح مئتين وأربعين، إذاً صار هذا المال أضعافاً مضاعفة، ولكنّ الرّبا ممنوع وحرام في الإسلام إن كان مآله أضعافاً مضاعفة وإن لم يكن كذلك، وقد مرّت معنا آيات الرّبا سابقاً، وقلنا إنّ العلاج لكلّ المشكلات الاقتصاديّة في العالم هو أن تكون الفائدة صفراً،

لكن ماذا نستفيد من تحريم الرّبا؟ تحريم الرّبا هو تحريم استغلال الحاجة، فيجب أن نعلّم الخلق عظمة هذا التّشريع الإسلاميّ، فقد حرّمه الله ﷻ وشدّد وقرّع في تحريمه فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩﴾ [البقرة]، فقد أعلن الحرب على الذين يستغلّون حاجة الفقراء وحاجة النّاس إلى المال لطمعهم في زيادة أموالهم، وهذا أمر نحتاجه في كلّ وقت وخصوصاً في الأزمات. عندما نمرّ في الأزمات فإننا نحتاج إلى أن تنزل قيمة البضائع، كما حدث في اليابان أثناء الحرب العالميّة وغيرها من الأزمات التي مرّت بهم، فعوضاً عن أن ترتفع الأسعار، أنزل التّجّار الأسعار، وعوضاً عن الاحتكار والرّبا والطّمع تعاونوا فيما بينهم للتّخفيف من أزماتهم، هذه أخلاق الإسلام، والنّبيّ ﷺ في وصاياه الأخيرة في حجّة الوداع قال: «**يا أيّها النّاس، إنّ كلّ ربا موضوع، إنّ أوّل ربا يوضع ربا العبّاس بن عبد المطّلب، لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون**»[1].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: الأمر يحتاج إلى تقوى، والتّقوى هي جوامع الخير، أي الالتزام بما أمر الله والانتهاء عمّا نهى، وقد سُئل الإمام عليّ كرّم الله وجهه ما هي التّقوى يا أمير المؤمنين؟ فقال كرّم الله وجهه: "التّقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتّنزيل، والاستعداد ليوم الرّحيل،

(١) مجمع الزّوائد: كتاب البيوع، باب ما جاء في الرّبا، الحديث رقم (٦٥٧١).

والرّضا بالقليل"، وليس الطّمع والجشع والاحتكار... فالفلاح أو الفوز لا يكون بالآخرة إلّا من خلال التّقوى، وأصل الفلاح مأخوذ من الفلاحة وهي أن تحرث الأرض حتّى تعطي النّتيجة.

(الآية ١٣١) - ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾:

المراد هنا بالتّقوى أن تجعل بينك وبين النّار وقاية بالابتعاد عمّا حرّم الله ﷻ.

(الآية ١٣٢) - ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾:

أمر ﷻ عباده بطاعته وطاعة رسوله ﷺ لتنالهم رحمته وفضله.

(الآية ١٣٣) - ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾:

ندب الله ﷻ عباده إلى المبادرة في فعل الخيرات، والمسارعة إلى نيل القربات، والاستغفار هو مفتاحٌ للخيرات، فالإنسان مهما كان تقيّاً وطائعاً لله ﷻ فإنّه لا يستطيع أن يشكر نعمة واحدة أنعمها الله ﷻ عليه، وهو يحتاج للاستغفار؛ لأنّه قد يقوم بأمور يحسبها هيّنة وتكون عند الله عظيمة، كما قال ﷺ: «**وإنّ العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنّم**»[1]، فلذلك قال الله ﷻ بعد ذلك: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، والمسارعة تكون باختصار الوقت، وهناك فرق ما بين السّرعة والعجلة، العجلة يقابلها التّأنّي وهو محمود والعجلة مذمومة، أمّا

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الرّقاق، باب حفظ اللّسان، الحديث رقم (٦١١٣).

السّرعة فهي محمودة وتكون في الخيرات، وعكس السّرعة الإبطاء وهو مذموم، هذه المغفرة نتيجتها جنّة عرضها السّماوات والأرض، قد يقول قائل: لماذا لم يذكر الله ﷻ ما هو طولها؟ ومَن الذي قال لك: إنّ ملك الله هو فقط السّماوات والأرض حتّى تقول: ما هو الطّول؟ الله ضرب هذا كمثل أنّ عرض الجنّة كعرض السّماوات والأرض، وهو للتّقريب لأذهان النّاس للدّلالة عن ضخامة حجم الجنّة، إذاً الأولى أن نسأل: مَن هم هؤلاء الذين وُعدوا بالجنّات؟ قد يظنّ بعض النّاس أنّ الدّين هو الإكثار من الشّعائر فقط، هذا أمر حميد وجيّد، لكنّ الدّين هو تحقيق مقاصد الشّريعة لذلك قال بعدها:

(الآية ١٣٤) – ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾:

لم يقل يصلّون بل قال: ﴿يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾، المؤمن عندما يكون في حالة سرّاء يجب أن يشكر، ولكن كيف يشكر؟ قال رسول الله: «**والصّلاة نور والصّدقة برهان**»(١)، الصّدقة برهان على ماذا؟ الإنفاق هو برهان على حسن الإيمان، قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التّوبة: من الآية ١٠٣]، تطهير وتزكية وارتقاء بالنّفس إذاً هؤلاء الذين وُعدوا بالجنّة، الذين ينفقون أموالهم في كلّ الأحوال في السّراء والضّراء، ليس فقط إذا أصابتهم مصيبة، نحن نعلم أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**وداووا مرضاكم**

(١) صحيح مسلم: كتاب الطّهارة، باب فضل الوضوء، الحديث رقم (٢٢٣).

بالصّدقه،»[1]، فإذاً هنا في المصاب وفي الضّرّاء داووا مرضاكم بالصّدقة لكن أيضاً في حالات السّرّاء يجب أن ننفق، هكذا أمر القرآن، وهؤلاء الّذين وُعدوا بالجنّات هم الذين ينفقون، ليس فقط بالمال إنّما بالجاه وبالعلم.

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾: أتى هنا على مواجيد نفسيّة، ما هي المواجيد النّفسيّة؟ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلاً قال للنّبيّ ﷺ: أوصني، قال: «**لا تغضب**»، فردّد مراراً، قال: «**لا تغضب**»[2]، الغضب يُخرج العقل عن سيطرته على الجوارح، فلذلك الإسلام أمر الإنسان بكظم الغيظ، وكظم الغيظ باللّغة العربيّة مأخوذ من القربة التي تكظم الماء فيها، فكظم الغيظ منع الغضب من أن يسيّر حركة الإنسان، وأن تكون انفعالات الإنسان من جرّاء غضبه لا من وحي عقله، ويدخل الشّيطان على الإنسان في حالة الغضب، فإذا أساء إليك إنسان فما هو المطلوب؟ هل تضربه إن ضربك؟ أو تشتمه إن شتمك؟ ما هي الأمور التي أوردها القرآن الكريم؟ لنرى ديننا هل هو دين عنف؟ لنرى هل بذور العنف كما يدّعون موجودة في ثنايا تعاليم القرآن؟ إنّنا إذا أنعمنا النّظر نرى القرآن الكريم يقول: إنّ الذي يدخل الجنّة هم الذين ينفقون في السّرّاء والضّرّاء، والكاظمين الغيظ، ولم يقبل منك أن تكظم غيظك، بل أتبعها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، أي أن تدفع السّيّئة بالحسنة، كما قال جل جلاله: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي

---

(١) مسند الشّاميّين: إبراهيم بن أبي عبلة، الحديث رقم (١٨).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، الحديث رقم (٥٧٦٥).

هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصّلت]، طلب منك كظم الغيظ هذه درجة أولى والدّرجة الثّانية لا بدّ أن تقابل الإساءة بالإحسان، فالإنسان يعفو عمّن ظلمه ويعطي من حرمه كما قال النّبيّ ﷺ، هذه هي أخلاق الإسلام، فهل أخلاق القهر والإجبار والقتل والقسوة والعنف موجودة في الإسلام؟ نحن لا نأتي بكلام من عندنا، وإنّما نقول: هذا هو منهج القرآن وليس منهجاً مكتوباً من قبل البشر، بل هو كلام الله ﷻ مخاطباً به المؤمنين جميعاً في كلّ العصور وفي كلّ الأزمان، ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النّحل]، الله ﷻ يحبّ الإحسان في كلّ شيء وفي كلّ أمر من الأمور، فكيف نقول إنّنا نحبّ الإساءة والله يحبّ الإحسان، ويطلب منك كظم الغيظ والعفو عن النّاس والإنفاق عليهم وحفظ حقوق الجوار، ويطلب منك أن لا تقول إلّا الكلمة الطّيّبة ولا تكذب على أحد، وأن تؤثر غيرك على نفسك، ويطلب منك ألّا تقتل أحداً ولا تسرق، هذا هو الإسلام فأين هي بذور العنف فيه؟ أين هي بذور القسوة؟ وأين ينحطّ فعل التّكفيريّين والإرهابيّين والقتلة والمجرمين الذين يرفعون شعارات دينيّة؟! الإسلام بريء من كلّ هذه الأفعال؛ لأنّهم لبسوا عباءة الإسلام ليقتلوا ويفجّروا ويفخّخوا ويفعلوا كلّ المنكرات والمحرّمات وينتهكوا المقدّسات باسم الإسلام، والإسلام بريء منهم.

(الآية ١٣٥) - ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾:

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾: الفاحشة هي الكبيرة، وقد وردت في القرآن عند الكلام عن الزّنى؛ لأنّ فيه خلطاً للأنساب وانتهاكاً للأعراض، والإسلام يريد التّمام والكمال والشّرف والأخلاق.

﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾: أو ظلموا أنفسهم بارتكاب الصّغائر، هكذا فسّرها العلماء، وقد قال النّبيّ ﷺ: «**لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار**»[١]، إذا أصرّ الإنسان على الصّغيرة تصبح كبيرة، ولا كبيرة مع الاستغفار؛ لأنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً، لذلك قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هل المقصود بذكر الله أن يرتكب المرء كلّ الموبقات ثمّ يقول: سبحان الله؟! المقصود هؤلاء عندما فعلوا فاحشة واقترفوا الذّنوب لم يكن الله في بالهم، نسوا الله، ثمّ تذكّروا أوامر الله وتذكّروا قدرته وتذكّروا عذابه، فالذّكر في اللّسان يحرّك الوجدان، أي أن تنفعل كلّ الجوارح وأوّل هذه الجوارح القلب، «**ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب**»[٢]، كما قال الصّادق

---

(١) كنز العمّال: ج٤، ص٢١٨، الحديث رقم (١٠٢٣٨).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث رقم (٥٢).

المصدوق ﷺ، والحقّ أنّه تصدر من الذّكر انفعالات لتصل إلى الجوارح وتباشر القلب، فعندما يذكر المؤمن الله فإنّه يذكر كلّ أوامر الله وينتهي عن نواهيه، هذا هو المقصود بذكر الله، لذلك أيّ استغفار الشّرط الأساسيّ في صحّته هو عدم الإصرار، لذلك جاء حبيب بن الحارث إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنّي رجل مِقرافٌ، قال: «**فتُب إلى الله يا حبيب**»، قال: يا رسول الله، إنّي أتوب ثمّ أعود، قال: «**فكلّما أذنبت فتب**»، قال: يا رسول الله، إذاً تكثر ذنوبي، قال: «**عفو الله أكبر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث**»[1]، عفو الله يسع الذّنوب بشرط أنّك عندما تتوب تعقد العزم على عدم العودة إلى الذّنب، فعفو الله أكبر من كلّ الذّنوب وعلى هذا الشّرط، ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[الزّمر]، فالله رحمن رحيم، وكلّ النّاس يتكّلون على رحمته، والمهمّ أن يعقدوا العزم على عدم الإصرار على ارتكاب الذّنوب.

(الآية ١٣٦) - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾:

لماذا جاءت الآية على هذا التّرتيب: مغفرة من ربّهم، وبعد ذلك: جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها؟ لأنّ الوسيلة لدخول الجنّة هي أن يغفر الله ﷻ ذنوبك أوّلاً وبعد ذلك تسعك رحمته.

---

(١) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: ج ١٠، الحديث رقم (١٧٥٣١)، ومِقراف: صيغة مبالغة من قارف: يُقال: قارف الخطيئة: أي خالطها.

(الآية ١٣٧) – ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: ما معنى سنن؟ السّنن هي الطّرائق، أي هي الأسباب التي توجد في الكون، السّنن الكونيّة مثل ما جرى مع الأقوام السّابقين، كعاد وثمود وأصحاب الرّسّ وفرعون...

خلت: جرت، وكانت من قبلكم.

﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: نقول: سيروا في الأرض، أم سيروا على الأرض، لو أنّ الذي كتب القرآن بشر لكانت هذه الآية: (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا على الأرض)، وفي وقت النّزول لم يسأل أحد النّبيّ ﷺ لماذا قال ﷻ: ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ولو أنّهم سألوه لما أجابهم؛ لأنّه يحتاج لألف عام حتّى تُعلم هذه المعاني، لذلك سكت النّبيّ ﷺ، أمّا العقل البشريّ الآن يدرك أنه يسير في الأرض وليس على الأرض؛ لأنّ الغلاف الجوّيّ يتحرّك مع حركة الأرض، وهو جزء لا يتجزّأ منها، فإن قلت: (سيروا على الأرض) فيجب عليك إذاً أن تسير فوق الغلاف الجوّيّ وليس على الأرض التي نسير عليها، فنجد في الآية إعجازاً علميّاً في حرف واحد، وهذا هو الفرق ما بين (على) و(في).

﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾: انظروا إلى الأمم السّابقة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾ [الفجر]، الحضارة العلميّة، ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر]، حفروا الصّخور

وبنوا المنازل، أيّ تقدّم علميّ هائل؟! ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر]، هذا المقصود من قوله ﷻ: ﴿فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾، لا يغرّنكم الزّمن وما ترون، والسّير المقصود هنا في هذه الآية أن تسير بالأفكار، ويمكن أن تسير بالانتقال وترى الآثار، لكن عندما تُطلق هكذا فالمراد أن تجول بفكرك وذهنك وترى نتائج كلّ من كذّب بآيات الله والدّلائل على وجوده ﷻ.

إنّ سنن الله ﷻ في الكون هي التي تؤدّي إلى مظاهر الحضارة، يعني الأخذ بالأسباب والأخذ بالعلم والأخذ بالتّقنيّة والأخذ بالأخلاق، أي بكلّ ما جاء من أوامر إلهيّة تؤدّي إلى اجتلاء ما في الأرض واستكشافها. والله ﷻ يريد منّا أن نكون عاملين عالمين بكلّ الأحوال الدّنيويّة إضافة للمواضيع الشّرعيّة والدّينية، فلا يكفي الأخذ بالعلم الشّرعيّ أو العلم الدّينيّ حتّى تكون متعلّماً، لا بدّ أن تتعلّم العلوم الكونيّة والعلوم السّائدة في عصرك حتّى لا تكون جاهلاً، وعندما نرى الهجوم على الإسلام وهذا التّضليل الخطير لكلّ المجتمعات الغربيّة وغير الغربيّة في العالم حول دين الإسلام على أنّه دين التّخلّف، أو هو الدّين الذي هضم حقوق المرأة، أو هو الدّين الذي يحوي في طيّاته بذور العنف والكراهيّة والحقد على الآخرين، كلّ هذه المعاني التي يتحدّثون عنها هي في الحقيقة لها أسباب إضافة للتّآمر على الأمّة العربيّة والإسلاميّة، هناك أسباب لكن من ضمن هذه الأسباب أنّ النّاس

ينظرون إلى الأعمال وينظرون إلى الحضارة ولا يُلقون بالاً إلى التّديّن، ليفسّروا بشكل أوضح، ألف عام كانت فيها هذه الأمّة توصف بأنّها: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٠]، لقد كانت هي التي تصدّر العلم والحضارة والنّظام وكلّ مرتكزات الحياة الكريمة وحقوق الإنسان والحريّات العامّة والشّورى ومبادئ الدّيمقراطيّة التي يتحدّثون عنها الآن، خلال ألف عام كان العالم الغربيّ في غيابات الظّلام، ليس عنده علمٌ ولا حضارةٌ ولا أخلاقٌ ولا تقدّمٌ ولا أيّ شيءٍ من الأمور ذات الشّأن، فكانت الأمّة الإسلاميّة مصدر إشعاع للآخرين، حتّى كان أهل البلاد الأخرى يرسلون بعثات إلى الأندلس كي يتعلّموا الطّبّ والكيمياء وعلوم الفيزياء وعلوم الفلك وغيرها، فأعطت هذه الأمّة صورة مشرقة عن الإسلام، ولكن عندما تخلّفنا أعطينا الصّورة المظلمة عن الإسلام؛ لأنّنا تخلّفنا عن سنن الله التي أرادها، والله ﷻ قال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: من الآية ٢٠]، لماذا يكتشف الآخرون الفضاء ويصلون إلى العلوم والتّقنيّة ويضعون النّظريّات العلميّة والطّبيّة، ونحن نُطالب بذلك ولا نحرّك ساكناً، إذاً عندما نرى تخلّفاً في بلد من البلدان الإسلاميّة فليس السّبب هو الإسلام وإنّما السّبب هو المسلمون، الإسلام حضّ على العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: من الآية ١١٤]، فإذا أردت أن تعطي الصّورة الحقيقيّة عن الإسلام فالصّورة الحقيقيّة ليست فقط في تطبيق تعاليم الإسلام التعبّديّة، وإنّما هي في تطبيق جوهر الإسلام الذي هو الحضارة والعلم والتّقدّم والحقوق

والعدل... أمّا إن غاب العدل وغابت الحقوق وغابت القيم وغابت الأخلاق وغاب التّقدّم العلميّ بسببنا فأمر طبيعيّ أن يعتقد النّاس أنّ السّبب هو الدّين، عندما ذهب محمّد عبده إلى لندن وغيرها من دولٍ غربيّة ووجد النّظام والنّاس ملتزمة بالقوانين والأنظمة قال: وجدت إسلاماً بلا مسلمين، وعندما عدت إلى مصر وجدت مسلمين بلا إسلام، لماذا؟ لأنّه وجد الحضارة ووجد أهلها صادقين منظّمين يتّبعون القوانين، يدرسون، يعملون ليل نهار في بناء بلدهم، في بناء مجتمعاتهم. هذا هو المقصود بتأمّل سنن الله في الكون. إنّ مساحة السّنن الكونيّة في القرآن الكريم أكثر من ثلاثة أرباع القرآن، لكنّنا مع الأسف أخذنا من القرآن فقط أن نعلّم النّاس الطّهارة والصّلاة والزّكاة والحجّ وصيام رمضان، هذه أمور تعبديّة ومن الواجب أن نعلّمها للنّاس، لكن لم يقتصر القرآن الكريم عليها، فالوضوء ورد بآية واحدة تستطيع أن تفسّرها بكلمتين، لكن أن يكون هناك ألف آية في القرآن الكريم تتعلّق بالشّمس والقمر والرّياح والنّجوم والفيزياء والعلوم نمرّ عليها مرور الكرام، أن يكون القصص القرآنيّ كلّه سنن كونيّة؛ لأنّها نتائج تفاعل هذه الأمم التي كانت بالسّابق مع محيطها ومع شرع الله ﷻ وماذا جرى معها وكيف كانت؟ وكيف أخذت بالأسباب و.. إلخ، إنّنا مع الأسف حجّرنا الإسلام ضمن دائرة ضيّقة جدّاً، لا نغادر موضوع العبادات، فلو بحثنا في سيرة المصطفى ﷺ، وسنّة النّبيّ ﷺ هي كلّ قول وفعل وأمر ونهي وإقرار فعله النّبيّ ﷺ، هل حياة النبيّ ﷺ منذ أن نزل عليه

جبريل عليه السلام بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ إلى أن ارتفع إلى جوار ربّه وانتقل إلى الرّفيق الأعلى من سنّ الأربعين إلى الثّلاث والستّين، ثلاثة وعشرون عاماً هل كانت كلّها في غزوات، وكلّها كان فيها النّبيّ ﷺ يعلّم النّاس الوضوء؟! طبعاً لا، فالنّبيّ كان يجلس مع جيرانه يعلّم حقوق الجوار، كان مع زوجاته يعلّم حقوق المرأة، وكيفيّة التّعامل مع الزّوج، كان مع أولاده أو أحفاده يعلّم النّاس كيف يكون ضمن الأسرة، كيف تكون صلة الرّحم، كيف يبني المجتمع، كيف يبني العلم، كيف يبني الحضارة، كيف يبني العدل، كيف يبني الأخلاق، كيف يبني القيم، كلّ هذا تركناه من الإسلام ووقفنا الإسلام فقط على ما أراده الإرهابيّون والغربيّون والصّهاينة وأعداء الدّين؟!

(الآية ١٣٨) - ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾:

نحن مع هذه الآية أمام بيان قوّة، كما نقول: صدر بيان من الأمم المتّحدة، أو صدر بيان من مجلس الأمن، فقوّة البيان من قوّة مُصدِره، فإذا قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ﴾ فهو بيان أصدره الله للنّاس جميعاً، والقرآن الكريم نزل للبشريّة جمعاء، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: من الآية ٢٨]، فالقرآن الكريم للبشر جميعاً، وكلّ ما في القرآن وما جاء به النّبيّ هو بيان لكلّ النّاس، لكن تضيف الآية إلى ذلك ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾، فهو بيان لكلّ النّاس؛ لأنّهم بغضّ النّظر كانوا مسلمين أم غير مسلمين ينتفعون من ديننا ومن إسلامنا، لماذا؟ لأنّ القرآن أمر المسلم أن لا يزني ولا يسرق ولا يكذب ولا يقتل ولا يسيء للجار... فغير المسلم

ينتفع بهذا الإسلام، إذاً هو بيان للنّاس ورحمة للعالمين، وليس إلغاء للآخرين، هو رحمة للعالمين؛ لأنّ المسلم مطلوبٌ منه كلّ القيم الأخلاقيّة ومطلوبٌ منه التّعامل دائماً بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصّلت]، ومطلوب منه وأد العداوات: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤]، ﴿*إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النّحل]، هذا العطاء الرّحب أهو للنّاس أم ليس للنّاس؟ إنّه منفعة لكلّ البشريّة، لذلك هذا القرآن هو للنّاس جميعاً، ويُضاف إلى ذلك أنّه بيان للنّاس فهو موعظة وهدىً، فما هو الهدى؟ الهدى: هو الدّلالة على الطّريق الموصل للغاية، إذاً هو الذي يهديك إلى ما فيه خيرا الدّنيا والآخرة، ويوصلك إلى الجنّة، والموعظة: هي حمل النّفس على أمرٍ ما إمّا ترغيباً وإمّا ترهيباً، فالموعظة والهدى يكونان للمتّقين، والبيان للنّاس جميعاً؛ لأنّ الإسلام مصدر خير للجميع. والآن يتابع القرآن الكريم الكلام عن غزوة أُحُد، لماذا؟ لأنّ فيها آيات كثيرة أحدثت زلزالاً لدى المسلمين.

(الآية ١٣٩) - ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾:

لا تهنوا: أي لا تضعفوا، يتعلّق بوهن الجسد، ولا تحزنوا: الحزن يتعلّق بمواجيد القلب، فإذاً كان هناك وهن حتّى إنّ النّبيّ ﷺ كُسرت رباعيته

وأُدمي وجهه الشّريف وكانت المعركة شديدة على المؤمنين في ذلك الوقت، والخطاب كان لفئة المؤمنين الذين حضروا المعركة، لكنّ الخطاب القرآنيّ دائماً فيه خصوصيّة للسّبب وعموميّة للمعنى، فهنا يجب أن ندخل إلى العمق في القرآن الكريم فهو مهمّ جدّاً، أي عندما نقرأ الآية لا بدّ أن نستحضر في بالنا أنّ الله ﷻ هو المتحدّث، فكلّ المشكلات التي نواجهها تحدث لأنّ الّذي يقرأ القرآن يقرؤه وكأنّه يتعامل مع كتاب كتبه بشر، أمّا نحن فيجب أن نعلم أنّ هذا الكلام هو كلام الله، فهو يستوعب الزّمان والمكان، وكلامه له عمق فلا نستطيع أن نسطّح الفهم عند تلاوتنا للقرآن الكريم، لا بدّ من ملاحظة عمق الحدث، الآن الحديث عن أُحُد لكنّ الخطاب يتعلّق بكلّ المؤمنين، بكلّ الأزمان، فمثلاً عندما يقول النّبيّ ﷺ: «**من سرّه أن يُبسَط له في رزقه، وأن يُنسَأ له في أثره فليصل رحمه**»[1]، هل يطول العمر بصلة الرّحم؟ ألسنا نعلم أنّ الأجل مكتوب؟ فكيف أطالت صلة الرّحم عمره؟ وكيف وسّعت رزقه؟ نلاحظ عمق الكلام النّبويّ؛ لأنّ الكلام النّبويّ من المشكاة الإلهيّة: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجم]، فعندما يقول رسول الله ﷺ: إنّ صلة الرّحم تطيل العمر فهي تطيله بعمقه ولا تطيله بالطّول الزّمنيّ، الطّول الزّمنيّ مكتوب: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾ [الرّعد: من الآية ٣٨]، ولكن تطيل العمر بأثره لأنّك عندما

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب من بُسِط له في الرّزق بصلة الرّحم، الحديث رقم (٥٦٣٩).

تصل رحمك يبقى أثرك موجوداً زمناً أطول من خلال صلة الرّحم، فدائماً يجب أن ننظر إلى عمق الكلمة وعمق المعنى وليس إلى المظهر الحرفيّ فقط ليستوعب الأمر الزّمان والمكان، فالله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ المراد في أيّ معركة وفي أيّ موقعة وفي أيّ أمر من الأمور، لا تضعفوا ولا تحزنوا إذا كنتم مع الله، وأنتم الأعلون.

سبب النّزول:

وقف أبو سفيان بعد غزوة أُحُد وقال: اعل هُبَل، فقال النبيّ ﷺ لأصحابه: «**ألا تجيبونه؟!**»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله أعلى وأجلّ**». قال: إنّ لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال النّبيّ ﷺ: «**ألا تجيبونه؟!**»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**»[1].

﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: حتّى لو انكسرتم، هذا معنى عامّ وخاصّ في الوقت ذاته، سبب النّزول هو الخاصّ، وهو عامّ بعد ذلك لكلّ المؤمنين، ويتابع المولى ﷻ لمداواة هذه الجراح:

(الآية ١٤٠) - ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾:

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجهاد والسّير، باب ما يُكره من التّنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، الحديث رقم (٢٨٧٤).

القَرح: الجرح، وبالضمّ قُرح: الشّعور بالألم، وهنا تسلية للمؤمنين وتخفيفٌ عنهم، أي إذا أُثخنتم بالجراح فلا تظنّوا أنّكم أنتم فقط أُصبتم، فهم أُصيبوا أيضاً، وتأمّلوا المتابعة هنا: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ لم يقل (بين المؤمنين)، بل قال: ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ﴾: لا يقصد بالأيّام السّاعات الأربع والعشرين، بل المراد اليوم الذي حدث فيه حدثٌ ما وسمّي اليوم باسمه، فيقال عنه: يوم كذا، كيوم الخندق ويوم بدر ويوم أُحُد مثلاً.

﴿نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾: أي أنّ الانتصارات والانكسارات، العطاءات والحرمان، الصّحّة والمرض، الفقر والغنى، كلّها تتناوب في حياة الإنسان، فهل يوجد أحد يستطيع أن يقول: إنّه ثابت على حال؟ كيف وهو في دنيا أغيار؟! اليوم أنت صغير غداً كبير، كنت صحيحاً أصبحت سقيماً، كنت قويّاً أصبحت ضعيفاً، كنت غنيّاً أصبحت فقيراً، كنت حيّاً أصبحت ميتاً، فأنت ابن أغيار وسبحان الله الذي لا يتغيّر، وهذا أحد السّنن الكونيّة.

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: ألا يعلم الله ﷻ؟ في تفسير القرآن الكريم إذا أخذت بحرفيّة الكلام فستخطئ بشكل كبير، وقد تعتقد أنّ الله يعمل مداولة بين النّاس وتأتيهم الابتلاءات حتّى يعلم من منكم مؤمن؟ طبعاً لا، هو يعلم بعلمه الأزليّ الكاشف كلّ شيء، مثال، ولله المثل الأعلى، الأمثلة ليست للتّشبيه وإنّما للتّقريب، نقول الأستاذ الذي يدرّس كلّ السّنة وعنده طلّاب هل هو بحاجة للامتحان حتّى يعرف من سينجح من طلّابه ومن

سيرسب؟ لا، هو يعرف كلّ واحد منهم من خلال أيّام السّنة الدّراسيّة، ومن خلال خبرته، ولكنّه يقيم الامتحان حجّة على الطلّاب، فهذا ينجح وهذا يفشل، فالله ﷻ لا يحاسبك على علمه الكاشف الأزليّ، بل يحاسبك على عملك في امتحانك، وامتحانك هنا ساحته الحياة.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾: من المعلوم أنّ الله ﷻ كرّم الشّهداء تكريماً لم يكرّم به أحداً من خلقه بعد الأنبياء فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران]، فإذاً نفى عنهم صفة الموت وأعطاهم هذا المكان، فهذا هو تعريف الشّهيد، ولكن قوله هنا: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أي يشهدون على الحقّ، فالشّهيد أيضاً يشهد على الحقّ الذي دفع دمه من أجله، فالله ﷻ يتّخذ منكم شهداء على هذه الابتلاءات وهذه الأحوال، كيف مرّ الإنسان عليها ما بين شاكر وصابر.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾: فمن يحبّ؟ يحبّ المحسنين، يحبّ المقسطين، يحبّ المتّقين.

(الآية ١٤١) - ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾:

التّمحيص: هو تطهير وتخليص من الشّيء الضّار، المنافقون انسحبوا من الموقعة، وكانوا يقولون: أرأيتم لو كان محمّد نبيّاً لما انهزمنا بأُحُد...، إذاً كانت عملية تمحيص.

﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: المحق هو التّخلّص النّهائيّ من الكافرين، فأصبحت الأمور واضحة وتمّ فرز الأشخاص والجماعات بعد غزوة أُحُد.

(الآية ١٤٢) – ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾:

كانت الآيات تتحدّث عن غزوة أُحُد، والله ﷻ بيّن في الآيات السّابقة التّمحيص والابتلاء اللّذين حدثا في ذلك الوقت من خلال موقعة أُحُد وأدّيا إلى وجود بعض التّشكيك من المنافقين في ذلك الوقت، ثمّ يتابع المولى ﷻ فيقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ لأنّ دخول الجنّة يحتاج إلى العمل، وهذا التّمحيص وهذا الابتلاء الذي يُبتلى به الإنسان هو السّبيل للدّخول إلى الجنّة، لذلك قال تبارك وتعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ لأنّ الصّبر هو العدّة الأساسيّة لمواجهة الابتلاءات في الحياة، لذلك قلنا سابقاً إنّ الله ﷻ قال: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: من الآية ٤٥]، فقدّم الصّبر على الصّلاة؛ لأنّ الصّبر أثر من آثار الصّلاة والصّلة بالله ﷻ، فقد تستطيع أن تصلّي ألف ركعة، لكنّك لا تستطيع أن تصبر دقيقة على أمر، فمجاهدة النّفس بالصّبر هي السّبيل لمواجهة ابتلاءات الحياة، لذلك قال جلّ وعلا: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: من الآية ١٥٥].

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾: ألا يعلم الله؟ إنّه يعلم، ولكن هذا الامتحان وهذا الاختبار لك وليس لله ﷻ، فالله ﷻ لم يجر لك الامتحان لكي يعلم إن صبرت أم لا، هو يعلم ولكنّه يُحاسب الإنسان على عمله وليس على علم الله ﷻ.

(الآية ١٤٣) – ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾:

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾: أي كنتم قبل غزوة أُحُد مستعدّين لمواجهة الموت، والآن أصبحتم أمام الموت أثناء غزوة أُحُد التي استشهد فيها أكثر من سبعين من الصّحابة الكرام وكنتم في مواجهة حقيقيّة مع الموت، كان هذا الاختيار هو اختيار الشّهادة في سبيل الله ﷻ حتّى ينتقل الإنسان مباشرة إلى رضوان الله ﷻ وإلى جنّاته دون المرور بحياة البرزخ، لأنّ الشّهداء أحياء عند ربّهم يرزقون.

(الآية ١٤٤) – ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾:

حدثت بلبلة في غزوة أُحُد عندما أُشيع أنّ النّبيّ ﷺ قد قُتل في الموقعة، فقال الله ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾، الآية تتعلّق بغزوة أُحُد لكن هذه الآية كان لها امتداد عظيم الأثر في الاستدلال بعد وفاة النّبيّ ﷺ حيث كان الزّلزال الأكبر الذي أصاب المؤمنين، وهنا نجد العمق بالكلام الذي يعبّر عن الحدث، وهو إشاعة أنّ النّبيّ ﷺ قُتل في أُحُد، لكنّ الآية استوعبت كلّ الزّمان، ونرى ذلك عندما نسرد القصّة ونبرز أحداثها: عندما انتقل النّبيّ إلى جوار ربّه لم يصدّق سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه هذا، فخرج وشهر سيفه

قائلاً: مَن قال: إنّ محمّداً قد مات قطعت رأسه بسيفي هذا، وإنّما ذهب إلى جوار ربّه كما ذهب موسى بن عمران، عن عبد الله بن عبّاس ﷺ أنّ أبا بكر خرج وعمر ابن الخطّاب يكلّم النّاس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل النّاس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر ﷺ: أمّا بعد، فمن كان منكم يعبد محمّداً ﷺ فإنّ مُحَمَّداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾، قال: والله لكأنّ النّاس لم يعلموا أنّ الله أنزل هذه الآية حتّى تلاها أبو بكر، فتلقّاها منه النّاس كلّهم، فما أسمع بشراً من النّاس إلّا يتلوها، أخبر سعيد بن المسيب أنّ عمر قال: والله ما هو إلّا أن سمعت أبا بكر تلاها فَعقِرْتُ[1] حتّى ما تقلني رجلاي، وحتّى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أنّ النّبيّ ﷺ قد مات[2]، فالآية هنا جاءت لسبب شائعةِ قتل النّبيّ ﷺ في غزوة أُحُد، ولكن في كلّ وقت من الأوقات نحتاج لكلّ آية في القرآن الكريم؛ لأنّ القرآن الكريم صالح لكلّ زمان ومكان فلا يأت أحدٌ ويقُلْ: إنّ هذه الآية نزلت في حادثة معيّنة فهي لا تصحّ الآن، وهذه الآية نزلت في ذلك الزّمن فلا تصحّ في هذا الزّمن؛ لأنّ القرآن كلام الله، والله الخالق، والله العليم، والله الحكيم، وإذا كان خالقاً

(١) انهارت قواي وسقطت.

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب المغازي، باب مرض النّبيّ ﷺ ووفاته، الحديث رقم (٤١٨٧).

وعليماً وحكيماً فلن يقول أيّ كلمة إلّا وتستوعب الخلق والزّمان كما في هذه الآية.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ﴾: أول مرّة يمرّ معنا اسم محمّد في القرآن الكريم، وقد ورد اسم محمّد أربع مرّات في القرآن الكريم:

١ – ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[آل عمران: من الآية ١٤٤].

٢ – ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: من الآية ٢٩].

٣ – ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمّد: من الآية ٢].

٤ – ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: من الآية ٤٠].

وورد اسم أحمد مرّة واحدة في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصفّ: من الآية ٦].

اسمه ﷺ محمّد واسمه أحمد، ولكن ما هو الفارق؟ الاسمان من نفس المادّة الحاء والميم والدّال مادّة الحمد، لذلك قالت زوجة أبي لهب عندما أرادت أن تشتم النّبيّ ﷺ:

مذمّماً عصينا ودينه قَلينا

وكان رسول الله ﷺ يقول: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله عنّي شتم**

قريش ولعنهم، يشتمون مذمّماً ويلعنون مذمّماً وأنا محمّد»[1]، وكان كفّار قريش لشدّة كراهتهم له ﷺ لا يسمّونه باسمه الدّالّ على المدح فيعدلون إلى ضدّه فيقولون: مذمّم، وهو ليس اسمه ولا معروفاً به، فكان الذي يقع منهم مصروفاً إلى غيره بالبداهة، فيحصل ضدّ قصدهم ويردّ الله كيدهم في نحرهم.

الفارق بين محمّد وأحمد، أنّ محمّداً اسم وقع عليه الحمد من غيره، حمده هذا وهذا وهذا، يحمده النّاس لأخلاقه الجيّدة وعظمته فأصبح محمّداً من كثرة ما وقع عليه من الحمد، أمّا أحمد فهو اسم تفضيل، أفعل، هذا حمد الله وهذا حمد الله وهذا حمد الله، لكنّ أحمدهم لله هو سيّدنا رسول الله فاسمه أحمد وهو أكثر الحامدين لله، تأمّلوا عظمة الاسم، وما تحدّثنا بعد عن الذّات المحمّدية فإذا أردنا أن نتحدّث عن الذّات المحمّديّة فلا يستوعب ذلك العمر، ولا كلّ البشر يستطيعون أن يتحدّثوا عنه كما قال المولى ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [الأحزاب: من الآية ٤٠]، إذاً هذه عظمة النّبيّ ﷺ بالاسم فكيف في السّيرة؟ وكيف بالقيم التي جاء بها؟!

﴿رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾: أحبّ الخلق إلى الله ﷻ هو محمّد لكنّ الله ﷻ يقول: إنّ محمّداً بشر، فبما أنّه بشر تسري عليه قوانين البشر، لكنّه يتميّز عن البشر بأنّه رسول وأنّ معه رسالة، إذاً كلّ ما يتعلّق بالبشر من حياة وموت وصحّة ومرض يسري على النّبيّ ﷺ، فهو قد مرض،

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، الحديث رقم (٣٣٤٠).

وحزن على أولاده وعلى والدته وعلى عمّه أبي طالب وعلى السّيّدة خديجة وعلى سيّدنا حمزة، لذلك عندما يختار الله ﷻ الرّسل يختارهم من جنس البشر حتّى يكونوا أسوة لهم، فإذا لم يكن الرّسول أسوة للبشر فلا يكون أهلاً لحمل الرّسالة، لذلك فالرّسل والأنبياء جميعاً أهلٌ لحمل الرّسالة، وهم أسوة سلوكيّة إضافة للأسوة التّبليغيّة، فالنّبيّ ﷺ أكمل النّاس أخلاقاً وشجاعة، وأكمل النّاس حديثاً، وأكمل النّاس في كلّ شيء، لماذا؟ لأنّه رسول ونبيّ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ ولكن بما أنّه بشر إذاً هو سيموت: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ هناك مئات الرّسل قبله ﷺ.

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾: إذاً هناك فارق بين الموت والقتل، قد تقول: الاثنان يُذهبان بالرّوح، هذا صحيح لكنّ الفارق أنّه عند الموت تخرج الرّوح ولا يكون هناك تخريب للبنية، أمّا القتل فتتخرّب البنية، وتخريبها يؤدّي إلى خروج الرّوح، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: من الآية ٢٩]، إذاً الرّوح لا تكون إلّا بعد أن يسوّى الجسد الذي سيحملها، فإذا تعرّض هذا الجسد لتهديم بنيته خرجت الرّوح، لكنّها خرجت بأجلها، قد يقول قائل: إنّها لم تخرج بأجلها، بل خرجت بفعل الرّصاصة التي أطلقها القاتل، والجواب: لا، لم تخرج بفعل الرّصاصة التي أطلقها القاتل، فالرّصاصة خرّبت البنية ولكنّ الأجل محدود، ويُقال: لو صبر القاتل على المقتول لمات وحده، بانتهاء أجله، ومن سنّة الله في خلقه أنّ الرّوح تسكن في جسد، فإذا هُدِّم هذا الجسد خرجت الرّوح، هذا الفارق بين القتل والموت.

﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾؛ لأنّ البعض انقلب على عقبيه في غزوة أُحُد، وكذلك الآية تستوعب الزّمان، ألم تقرؤوا عن حروب الرّدّة؟.

﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾: فلا الإيمان ولا الكفر، ولا الطّاعة ولا المعصية يضرّ أو ينفع ربّنا ﷻ، وإنّما يضرّ وينفع الإنسان.

﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: الله ﷻ طلب من الإنسان أن يكون شاكراً حامداً على النّعم وأن يكون أيضاً حامداً لله ﷻ بصبره على الابتلاءات، فطريقة الشّكر والحمد في الابتلاء هي بالصّبر.

(الآية ١٤٥) - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ﴾: أي لا تستطيع نفس أن تميت نفسها؛ لأنّ بعض النّاس حتّى لو أطلقت عليه الرّصاص لا يموت.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: ما هو إذن الله؟ عندما يأتي الأجل ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزّمر: من الآية ٤٢]، ثمّ تُكلّف الملائكة بقبض الأرواح.

﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾: ولكلّ أجلٍ كتاب: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: من الآية ٣٤]، فلا يعتقدنّ إنسان أنّ أحداث الحياة التي تجري عليه هي التي أدّت إلى انتهاء أجله، نقول لا تضع نفسك أمام المهالك، لكن عندما تصعد الرّوح فإنّ الأجل يكون مكتوباً، هذا هو الكتاب المؤجّل النّهائيّ للإنسان، لذلك فالموت جزء لا يتجزّأ من الحياة،

فلو نظرنا لشيخ هرم أو امرأة كبيرة في عمر التّسعين، هل يعتقدون أنّهم سيموتون؟ لا، فالله ﷻ جعل النّسيان من عادة الإنسان، عش لدنياك كأنّك تعيش أبداً حتّى يكون هناك أمل وتفاؤل عند النّاس، لكن لننظر إلى الحقيقة التي لا يستطيع الإنسان أن يغفل عنها أبداً، وهي أنّ الموت مرحلة وليس نهاية، وأنّنا شهدنا جزءاً من مسرح الحياة وهناك جزء آخر لم نره بعد، ولا نستطيع أن نتحدّث عنه؛ لأنّه لم يأت أحد بعد موته ليخبرنا ماذا جرى معه، لكنّ الذي خلق الموت والحياة هو الذي أخبرنا، فهو أصدق من ذلك الذي مات لو عاد من قبره فأخبرنا بما جرى، يجب أن نعلم أنّ هناك مرحلة انتقال، وأنّ مرحلة الانتقال هذه تكون بالموت وفي عالم البرزخ، وبعد ذلك فهناك حياة دائمة في الآخرة إمّا جنّات نعيم وإمّا جهنّم، هذا ما أخبرنا الله تعالى عنه، يقول ﷻ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق]، كان هناك غشاوة أمام الأعين، فلا نرى كلّ الحقيقة، متى نرى الحقيقة كاملة؟ نراها بعد الموت.

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾: يعطي الله ﷻ ثواب الدّنيا لكلّ النّاس؛ لأنّ الأمور مربوطة بالأسباب، فمن أخذ بالأسباب حصل على النّتيجة، فإذا أراد الإنسان أن يكون مؤمناً فهو يريد الدّنيا والآخرة لماذا؟ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: من الآية ٧٧].

﴿وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: الذي يحافظ على داوم النّعمة هو الشّكر والحمد، والذي يؤدّي إلى اجتياز المحن هو الصّبر، فهذا الصّبر شكر.

(الآية ١٤٦) – ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾:

﴿رِبِّيُّونَ﴾: ج. رِبّي، وهو المتّبع لشريعة الرّبّ، مثل الربّانيّ، والمقصود هنا:

١– إمّا الجماعة.

٢– أو أتباع الرّسل وتلامذة الأنبياء.

﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾: أي ما ضعفوا لما أصابهم في سبيل الله، فلا بدّ في المواجهة بين أصحاب الحقّ وأصحاب الباطل من إصابة أو جرح، وعلى المرء أن لا يضعف، فالمواجهة بين الحقّ والباطل دائمة، وهذه سنّة من سنن الله ﷻ في خلقه، دائماً هناك تكاليف.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ﴾ مَن؟ ليس المهمّ أن تحبّ الله، المهمّ أن يحبّك الله، كيف يحبّك الله؟ تبحث عمّا يحبّ، هو لا يحبّ الظّالمين، ويحبّ المحسنين، ويحبّ الصّابرين، ويحبّ المتّقين، ويحبّ المقسطين.

(الآية ١٤٧) – ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾:

كلّ الذين كانوا مع الأنبياء والرّسل عليهم السلام كانوا يستعينون بهذا الدّعاء أثناء كلّ مواجهة بين الحقّ والباطل: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

الغفران من الذّنوب هو مطلب لكلّ إنسان، وقد روت السّيّدة عائشة أنّ نبيّ الله ﷺ كان يقوم من اللّيل حتّى تتفطّر قدماه، فقالت عائشة رضي الله عنها: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: «**أفلا أحبّ أن أكون عبداً شكوراً**»(١)، ومن ضمن الشّكر أن تستغفر، لماذا؟ لأنّك مهما فعلت لن تستطيع أن توفّي الله ﷻ حقّه من الشّكر على نعمة واحدة أنعمها عليك، فكيف بك إن كنت تعصيه؟! لذلك نحتاج دائماً إلى مغفرة.

﴿وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا﴾: الإسراف: هو التّجاوز في الحقّ.

﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾: أي لا تجعلنا نضعف ونتراجع ونفرّ من معركة الحقّ أمام الباطل، ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

(الآية ١٤٨) - ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾:

لماذا لم يقل: حسن ثواب الدّنيا وحسن ثواب الآخرة؟ لأنّ الدّنيا ليس فيها شيء تقوّمه على أنّه حسن، الحسن هو الذي يبقى، فالله ﷻ يعطيك ثواب الدّنيا ولكن هذا العطاء لا يبقى، يعطيك من الدّنيا الصّحّة والقوّة... لكنّها غير دائمة، أمّا عندما يتكلّم عن الآخرة فإنّه يقول: حسن ثواب الآخرة، ليلفت نظرك إلى الخالد الدّائم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المحسن هو الذي يحسن للفقراء ويعطيهم،

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب التّفسير، باب سورة الفتح، الحديث رقم (٤٥٥٧).

كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذّاريات].

(الآية ١٤٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾:

لماذا؟ لأنّ المشركين في ذلك الوقت كانوا يقولون للمسلمين: هل رأيتم الهزيمة التي وقعت في أُحُد؟! عودوا معنا إلى ما كنتم عليه، فأجاب الله: إن استجبتم لهم يعيدوكم إلى الجاهليّة فتنقلبوا بخسارة الدّنيا والآخرة.

(الآية ١٥٠) - ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾:

عندما أخذ أبو سفيان يرتجز بعد غزوة أُحُد: اعل هُبل، اعل هُبل، قال النّبيّ ﷺ: «**ألا تجيبونه**»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله أعلى وأجلّ**»، قال أبو سفيان: إنّ لنا العزّى ولا عزّى لكم، فقال ﷺ: «**ألا تجيبونه**»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**»[1]، هنا الله ﷻ يقول: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي هو الذي يتولّاكم ويعينكم.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾: فالإنسان يمكن أن ينتصر بعوامل عديدة، كمساندة إنسان آخر، لكن خير النّاصرين هو الله ﷻ؛ لأنّه هو الوحيد

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجهاد والسّير، باب ما يكره من التّنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، الحديث رقم (٢٨٧٤).

القادر على أن يقلب الخُسران إلى نجاح وانتصار، كما قلب الخسارة التي حدثت في غزوة أُحُد إلى نصر للمسلمين تبيّنت لهم حقائقه بعد فترة من الزّمن.

(الآية ١٥١) – ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗاۖ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١﴾:

﴿سَنُلۡقِي﴾: الإلقاء يُستخدم للأمر المادّيّ وليس الأمر المعنويّ، والرّعب أمرٌ معنويّ، فهل يوجد رعب تمسكه وتلقيه؟ لكنّ الله ﷻ استخدم هذه الكلمة حتّى يطمئن الصّحابة بعد ما حدث من خسائر في غزوة أُحُد، فيقول لهم: سأجمع الرّعب من كلّ الاتّجاهات وألقيه في قلوب المشركين.

﴿بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾: السّلطان إمّا أن يكون سلطان القوّة، وإمّا أن يكون سلطان الحجّة والدّليل والبرهان، فهم ليس لديهم سلطان أي حجّة ليثبتوا به الإشراك بالله، وسيبقون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهم في خوف دائم من كلمة التّوحيد.

والإشراك بالله أن تعتقد أنّ هناك مَن يضرّ وينفع ويعطي ويمنع ويصل ويقطع ويخفض ويرفع ويعزّ ويذلّ ويحيي ويميت غير الله.

﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ﴾: أي سيكون مصيرهم إلى النّار.

﴿وَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المثوى: هو المنقلب الأخير للإنسان، لماذا سمّاهم ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾؟ لأنّ الظّلم الأشدّ هو أن تظلم نفسك، فكيف يظلم الإنسان نفسه؟ عندما يقدّم لها شهوة عاجلة مؤقّتة

ويبعد عنها نعيماً دائماً، عندما تبغي وتكذب وترتشي وتفعل المنكرات تكون قد قدّمت شهوة عاجلة تنتهي وتبقى في حرمان المعصيّة إلى أن تصل إلى النّار، فإذاً أنت ظالم لنفسك ولغيرك في الوقت نفسه.

(الآية ١٥٢) - ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾:

بعدما ذكر الله ﷻ أنّه سيلقي في قلوب الكفّار الرّعب بدأ الآن يتحدّث عن الصّحابة رضوان الله عليهم الذين عاشوا هذه الواقعة:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾: المعركة كان فيها انتصار في بدايتها، والدّليل أنّ الرّماة تركوا مواقعهم ليأخذوا الغنائم واعتبروا أنّ الحرب انتهت، إذاً في بداية الأمر صدقكم الله وعده ونصركم؛ لأنّه قال ﷻ: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ أي: تقتلونهم قتلاً ذريعاً، وتستأصلونهم، ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي بأمره.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾: أي بعد ما رأيتم النّصر.

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: ترك أوامر النّبيّ ﷺ وذهب إلى الغنيمة.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: فإذاً الوعد كان وعداً بالنّصر

فانتصروا، ولكنّهم عندما خالفوا النّبيّ ﷺ انكسروا، عن عبد الله بن مسعود قال: لو حلفت يومئذ لرجوت أن أبرّ أنّه ليس أحد منّا يريد الدّنيا حتّى أنزل الله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾.

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: بعد ذلك صرفكم الله ﷻ عنهم ليبتليكم: أي ليمتحنكم ويختبركم.

﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾: انظروا للّطف والرّحمة الإلهيّة، هؤلاء مؤمنون ضعفوا وارتكبوا معصيّة لكنّهم لم يتركوا الأوامر الإلهيّة، فعفا الله تبارك وتعالى عنهم.

(الآية ١٥٣) - ﴿* إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾:

الدّرس الذي يعلّم النّصر في الأمر الكبير لا يُعتبر هزيمة في الأمر الصّغير، الذي حدث شيء صغير لكنّ هذا الدّرس يعلّم النّصر الدّائم.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تُصعدون وتَصعدون، ما الفارق؟ تَصعدون أي هناك مرتفع تصعدونه، أمّا تُصعدون فيعني الأرض مستوية سهلة تُصعدون فيها، أي تذهبون فيها.

﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾: أي لا تلتفتون؛ لأنّكم خائفون ومسرعون.

﴿وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾: النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام يهدّئ من روعهم ويدعو الذين فرّوا في غزوة أُحُد.

﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾: أثابكم: أي جازاكم، ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ فأصبحوا إضافة لغمّ الهزيمة التي وقعت هناك في غمّ آخر أنّ منهم شهداء، وهناك غمّ أيضاً أنّهم خالفوا أوامر النّبيّ ﷺ، إذاً غمّ على غمّ، سُئل الإمام عليّ -كرّم الله وجهه-: يا أمير المؤمنين، ما هي أشدّ جنود الله؟ قال: عشرة، أوّلاً الجبال، لكنّ الأشدّ منها الحديد؛ لأنّ الحديد يقطع الجبال، والأشدّ من الحديد النّار؛ لأنّ النّار تصهر الحديد، والأشدّ من النّار الماء؛ لأنّ الماء يُطفئ النّار، والأشدّ من الماء الرّيح؛ لأنّ الرّيح تُذهب الماء، والأشدّ من الرّيح هو ابن آدم؛ لأنّه يستطيع أن يستتر من الرّيح، والأشدّ من الإنسان هو السّكر، الذي هو غياب العقل، والذي أشدّ منه هو الهمّ الذي لا يدع الإنسان ينام، الغمّ والهمّ إذاً أشدّ جنود الله ﷻ على الإنسان، لذلك هناك أناس تموت من الغمّ، ﴿فَأَثَٰبَكُمۡ غَمَّۢا بِغَمّٖ﴾ كان هذا الغمّ مثل تكفير لما فعلوه، وهذا الغمّ كان شديداً عليهم، وهو الغمّ بأنّهم خالفوا أمر النّبيّ ﷺ.

﴿لِّكَيۡلَا تَحۡزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا مَآ أَصَابَكُمۡ﴾: الإنسان يعيش في عالم أغيار، وهو معرّض لكلّ أنواع الابتلاءات؛ لأن يفقد الأحبّة، أو يُبتلى بالمرض، أو يُبتلى بالفقر... فدائماً يفكّر في أنّ الله ﷻ جعل مع أقداره ألطافه.

(الآية ١٥٤) - ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾: المغموم لا يقدر أن ينام، فأنزل الله ﷻ نعاساً جعله أماناً لهم.

كلمة ﴿أَنزَلَ﴾ أي نزل من السّماء، وليس بالسّبب المعتاد الّذي هو النّعاس، أمّا ذلك فكان بأمر إلهيّ أنزله الله ﷻ لطفاً ورأفة بهم.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: هؤلاء الذين اتّبعوا عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس النّفاق، وأصبحوا ضمن دائرة المنافقين.

﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾: لا تهمّهم إلّا نفوسهم.

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: والله ﷻ هو الحقّ وأنزل القرآن بالحقّ، والحقّ: هو الشّيء الثّابت، منهم مَن قال: وعدنا الله ﷻ بالنّصر وانهزمنا، وعادوا إلى أسلوب التّفكير الجاهليّ.

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾: يقولون: النّبيّ هو الذي أخرجنا، ولو لم نخرج من بيوتنا لما حصل هذا... ونحن ليس لنا من الأمر

شيء، مع العلم أنّ النّبيّ ﷺ في غزوة أُحُد أراد البقاء في المدينة، لكنّه عمل بمبدأ الشّورى، والمنافقون أرادوا أن يُحدِثوا بلبلة في الصّفوف فقالوا: ليس لنا من الأمر شيء، لم يكن الأمر لنا، ولم نأخذ هذا القرار، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾: بالنّتيجة كلّ ما يجري هو من عند الله ﷻ، لكن عندما تُخالف أوامر الله سيُصيبك الشّرّ.

﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾: هذا هو النّفاق، أن تُخفي ما في نفسك وتبدي شيئاً آخر يُناقضه.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾: كنّا نريد أن نقاتل داخل المدينة، ولا نريد أن نخرج إلى أُحُد.

﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: يعطي الله ﷻ الجواب، ﴿قُل﴾: الله ﷻ يقول للنّبيّ ﷺ: ﴿قُل﴾ فينقلها كما هي، ولو كان القرآن من عند غير الله لأزال كلمة ﴿قُل﴾، ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ النّتيجة أنت ستبرز إلى أجل الله المكتوب إن كنت في مضجعك أو في أيّ مكان، فلن تستطيع أبداً أن تتخلّف عن أجلك المكتوب، هذا أمر محسوم، وفي الآيات التي سبقت قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٥].

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾: التّمحيص: هو الابتلاء والتّفتيش الدّقيق ليميز الله به الخبيث من الطيّب، ويكون لما في القلب، كما قال النّبيّ ﷺ:

«ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب»[1].

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: أي بكلّ ما يخفى في الصّدور؛ لأنّك قد تتكلّم بغير ما تُخفي في صدرك، تُبدي غير ما هو حقيقيّ لديك، هذا هو تعريف النّفاق، وذكرنا أنّ هناك نفاقاً اعتقاديّاً ونفاقاً سلوكيّاً، وأخطر داء يُصيب أيّ مجتمع هو داء النّفاق؛ لأنّك يمكن أن ترى العدوّ الصّريح أمامك وتحذره، أمّا الذي يكون داخل الصّفّ ويُبدي لك شيئاً ويُخفي شيئاً آخر، ويقول غير ما يعتقد فهو المنافق وهو أشدّ خطراً، وهناك كما بيّن القرآن الكريم نوعان من النّفاق:

– النّفاق الاعتقاديّ الذي يبطن صاحبه الكفر والإشراك بالله ويُظهر الإيمان، وهذا الذي قال عنه القرآن الكريم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النّساء].

– النّفاق السّلوكيّ هو أن تظهر بعض الأمور كأن تكذب وتفتري لتحصل على مكسب أو منصب أو أيّ شيء دنيويّ، فتنافق من أجل أن تصل إلى غاياتك.

وأخطر الأدواء هو النّفاق السّلوكيّ؛ لأنّه يدمّر المجتمعات، فلا تعرف الصّادق من الكاذب، ولا تعرف الصّحيح من السّقيم، فانتشار النّفاق يؤدّي إلى فساد كبير.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الحديث رقم (٥٢).

(الآية ١٥٥) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾: أي هربوا من المعركة ونزلوا من الجبل وأرادوا الدّنيا عوضاً عن الآخرة.

﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾: الشّيطان ليس له سلطان، لكن عندما يقع الإنسان بزلل يراه الشّيطان ضعيفاً من هذا الجانب فيوسوس له إذا ترك ذكر الله، وفي آية أخرى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم]، إذاً لا يتحجّجنّ أحد بالشّيطان، إنّما يتحجّج في وقوعه في الخطأ، ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾: من كسبهم جاء إليهم الشّيطان وأوقعهم في ذلك.

﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: فالله ﷻ عفا عنهم، والتّوبة مرجاة للكفّ عن الخطأ، وأكبر حركة إصلاح في المجتمع عنوانها التّوبة، فعندما يتوب الإنسان يعزم على أن لا يعود إلى ما ارتكبه من كلّ شيء سيّء؛ لأنّ الإسلام توجّهٌ إلى كلّ عناصر الخير على الدّوام، فباب التّوبة مفتوح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾: الله ﷻ يغفر لكن هنا بالحلم؛ لأنّ الله ﷻ

حليم بهذا الإنسان عندما يقع في عثرة، فعندما خالف الرّماة الأمر وتطلّعوا إلى الغنائم غفر الله ﷻ لهم بحلمه.

(الآية ١٥٦) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦﴾:

كان المنافقون يقولون: لو بقيتم عندنا لما أصابكم ضرّ.

﴿ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: كانوا في سفرٍ للتّجارة ونحوها.

﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ﴾: إذاً هم يعلّقون الموت والحياة بالأسباب، والموت يتعلّق بالأجل ولا يتعلّق بالسّبب، لكن عليك أن تأخذ بالسّبب، فلا تلقي بنفسك أمام القطار، ولا ترمي بنفسك من على سطح البناء.

﴿لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾: فهم لا يؤمنون أنّ الموت والحياة بيد الله وليس بيد الأسباب، إذاً الاعتقاد أنّ السّبب هو الذي يميت هو الّذي يجعلهم في حسرة على موتاهم، يجب أن تعتقد أيّها المؤمن أنّ الأجل انتهى فعندها يكون الصّبر مجيراً، وتقبّل الألم يكون ممكناً كما أراد الله ﷻ.

(الآية ١٥٧) – ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧﴾:

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: هذا قانون عامّ، الذي قُتل دون أرضه ودون وطنه ودون عرضه ودون ماله فهو شهيد.

﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ﴾: فمغفرة الله ﷻ أهمّ وأعظم من البقاء في

الدّنيا وحطامها الفاني، ورحمة الله ﷻ خيرٌ أيضاً فهي تشمل من استشهد بأن تجعله حيّاً عند ربّه يُرزق كما قال ﷻ، فهذا سلوان لقلوب أسر الشّهداء.

(الآية ١٥٨) – ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾:

في الآية السّابقة قدّم القتل على الموت، وهنا قدّم الموت على القتل، وفي القرآن الكريم كلّ كلمة لها حكمة، ولها معنى، ولها قصد، ففي الآية السّابقة كان الحديث عن المآل وعن النّتيجة، وهنا الحديث عن القاعدة العامّة لكلّ النّاس، من مات منهم ومن استشهد، ولكن أيّهما الأكثر حدوثاً، الموت أم القتل؟ كم من المليارات من البشر ماتت حتّى الآن؟ إذاً الموت هو القاعدة العامّة، لذلك قدّمه على القتل: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾.

﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾: تغيّر هنا تذييل الآية عن الآية السّابقة، فلم يقل مغفرة ورحمة، بل ذكر المآل أي المستقرّ النّهائيّ، فأنت تتصوّر رحمات الله وعطاء الله ورضوان الله ومغفرة الله، وتتصوّر أيضاً غضب الله وعقابه؛ لأنّ المرء سيُحشر إلى الله ﷻ.

(الآية ١٥٩) – ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ﴾: هذه جملة خبريّة، نزلت بأُحُد لكنّ كلام القرآن يستوعب الزّمان والمكان، يقول سهل بن سعد: شهدت النّبيّ ﷺ

حين كُسِرَت رباعيته وجرح وجهه وهشّمت البيضة على رأسه، وإنّي لأعرف من يغسل الدّم عن وجهه، ومن ينقل عليه الماء، وماذا جعل على جرحه حتّى رقأ الدّم، كانت فاطمة بنت محمّد رسول الله ﷺ تغسل الدّم عن وجهه، وعليّ رضي الله عنه ينقل الماء إليها في مجنّة، فلمّا غسلت الدّم عن وجه أبيها أحرقت حصيراً حتّى اذا صارت رماداً أخذت من ذلك الرّماد فوضعته على وجهه حتّى رقأ الدّم ثمّ قال ﷺ يومئذ: «**اشتدّ غضب الله على قوم كَلَموا وجه رسول الله ﷺ**»، ثمّ مكث ساعة ثمّ قال: «**اللّهمّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون**»[1]، إذاً فبما رحمة: بأيّ فبرحمةٍ أودعت في قلبك يا محمّد لنت لهم؟! و(ما) هنا زائدة، هذا الموقف، موقف أُحُد، وقد خالفه الرّماة وانشقّ ثلث الجيش وهو يدعوهم في أُخراهم... إلخ، في كلّ هذه الأمور ورغم ذلك: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾، فالنّبيّ ﷺ أرقّ النّاس قلباً، وألين النّاس كلاماً، وأحسن النّاس معاملةً، كان ﷺ يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولا يرفع يده حتّى يرفع الآخر عندما يصافحه، ولا يقبل من أحد أن يقبّل يديه، وقال ﷺ: «**لا تطروني كما أُطري عيسى بن مريم، وقولوا عبد الله ورسوله**»[2]، وقد أتى النّبيَّ ﷺ رجلٌ فكلّمه فجعل ترعد فرائصه، فقال له

---

(١) المعجم الكبير: باب السّين، سهل بن سعد السّاعدي، الحديث رقم (٥٨٧٢).

(٢) صحيح البخاريّ: كتاب المحاربين من أهل الكفر والردّة، باب ١٦، الحديث رقم (٦٤٤٢)، لا تطروني: من الإطراء، وهو الإفراط في المديح ومجاوزة الحدّ فيه، وقيل: هو المديح بالباطل والكذب فيه.

النّبيّ ﷺ: «**هوّن عليك، فإنّي لست بملك، إنّما أنا ابن امرأة تأكل القديد**»[1]، هذا هو النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ يأتي مَن يُحاول أن يُصوِّر الإسلام على أنّه الإرهاب والإجرام والحقد والكراهيّة وإلغاء الآخر والقتل، كيف تكون مسلماً ولست على هدي رسول الله ﷺ، والله ﷻ يقول لك: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]؟ فلنا بالنّبيّ ﷺ أسوة حسنة في كلّ شيء، فمن أراد أن يتّبع الإسلام فعليه أن ينظر إلى سنّة النّبيّ ﷺ وإلى أفعاله وأقواله وهديه وسلوكه وسيرته ﷺ.

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾: أي إنّ الله ﷻ يقول لكلّ النّاس: إنّ الإنسان يجب أن يكون رقيق القلب أسوة بالنّبيّ الكريم.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾: فاعف عن كلّ ما فعلوه، والعفو كما قلنا هو مسح الأمر تماماً، لكن لا يكفي أن تعفو عنهم، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾؛ لأنّ هناك ربّاً من ورائك يا محمّد يغار عليك، فإذا لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فقد شاورهم النّبيّ ﷺ لكنّهم أخطؤوا؛ لأنّهم أشاروا على النّبيّ أن يخرج إلى أُحُد، على حين كان النّبيّ ﷺ يريد أن يبقى في المدينة، لكنّه التزم بأمر الشّورى، وهذا ردّ على أولئك الذين يتنطّعون للقول بأنّ دين الإسلام دين متحجّر واقف عند زمنٍ معيّنٍ وحيّزٍ معيّنٍ لا يُغادره،

---

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب القديد، الحديث رقم (٣٣١٢)، والقديد: اللّحم المملّح المجفّف في الشّمس.

لكن عندما يقول ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي رغم أنّهم أخطؤوا في نتيجة الشّورى لكنّ مبدأ الشّورى هو مبدأ صحيح، وإذا وقع فيه خطأ مرّة فلا يعني أن نلغي الشّورى، فأيّ ديمقراطيّة أعظم ممّا ترسّخه هذه الآية؟ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ هذا مبدأ أساسيّ، ويطبّق حسب تطوّر الزّمان، لذلك قلنا إنّ الإسلام ليس برامج جامدة وإنّما هو قيمٌ ثابتةٌ، قيم العدل والإحسان والشّورى، قيم الخير والحبّ، هذه القيم الثّابتة التي أقامها الإسلام كدعائم تكفل له الأسبقيّة على صعيد السّياسة.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: إذا كان الأمر شورى كما حدث في أُحُد وعزمت وأخذت القرار، أي أخذت بالسّبب، فبعد ذلك توكّل على الله، فمن شروط التّوكّل أن تأخذ بالأسباب الدّنيويّة، والله هو الذي ربط الأسباب بالمسبّبات، لذلك قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، فالتّوكّل هو عمل القلب وليس عمل الجوارح، فلا يمكن أن تقول: عندي امتحان فسأتوكّل على الله كي أنجح دون أن تدرس، هذا لا يكون توكّلاً على الله، بل تواكلاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾؛ لأنّ المتوكّل على الله ﷻ يعيش في راحة نفسيّة لا يمكن لأحد أن يبلغها على الإطلاق، فهو قد أخذ بالأسباب، وعندما يتوكّل على الله فهو يعلم أنّ الأمور بيد الله وحده، فبعد العمل والأخذ بالأسباب يأتي قدر الله، فيكون صابراً ومطمئنّاً وراضياً بقضاء الله.

(الآية ١٦٠) - ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾:

مهما كانت القوى التي تحاربكم فإن كان الله ﷻ معكم فلا يمكن أن تخسروا، فأنت لا تنتصر بالعدّة والعدد، وإنّما تنتصر بصدق الإيمان بعد الإعداد والأخذ بكل الأسباب المتاحة والتّوكّل على الله.

﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾: هذا جواب لعبد الله بن أبيّ بن سلول رأس النّفاق ولكلّ المرجفين في المدينة الذين بدؤوا آنذاك يبثّون الإشاعات، ومن ورائهم اليهود، فحركة النّفاق في المجتمع المدنيّ خرجت من جحور اليهود، فالله ﷻ يقول للمؤمنين: ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ فمتى يخذلكم الله؟ بيّن ﷻ ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾[محمّد]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الرّوم: من الآية ٤٧]، كان من حقّنا على ربّنا أن ينصرنا، وهم في غزوة أُحُد خسروا؛ لأنّهم خالفوا أوامر الله ﷻ، فإذا لم تأخذ -أيّها المؤمن- بالأسباب، لم تتعلّم الخطط العسكريّة، لم تُنشِئ مصانع للسّلاح، ولم تُؤسّس لتفوّقٍ حضاريٍّ، فإنّك ستُهزَم.

(الآية ١٦١) - ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝١٦١﴾:

الغلول: هو سرقة الغنيمة. هذا درس لأولئك الذين تركوا أماكنهم التي وطّدهم بها النّبيّ ﷺ عندما شاهدوا أصحابهم يأخذون الغنائم، والنّبيّ ﷺ كان هناك على رأس المؤمنين، فلا يمكن أن يوجد غلول، وهو إخفاء الغنائم، فلماذا تركتم أيّها الرّماة أماكنكم، ونصيبُكم من الغنائم محفوظ؟ فقد

تسبّبتم بالهزيمة في تلك الغزوة، واستشهد أكثر من سبعين من أصحاب النّبيّ ﷺ. وبعد أن تحدّث عن يوم القيامة وهو منتهى كلّ غلول أتبعها بقوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: فكلّ إنسان سيُحاسب على ما قدّم: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١﴾ [النّجم]، إذاً توفّى كلّ نفس ما كسبت ولا يُظلم الإنسان شيئاً، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء].

(الآية ١٦٢) - ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٦٢﴾:

بعد أن تحدّث المولى ﷻ تقريعاً لأولئك الذين تركوا الجبل وخالفوا أمر النّبيّ ﷺ من أجل الغنائم فحدث ما حدث، يقول الله ﷻ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: هنا مقارنة، ورضوان هي مصدر (رضي)، فالإنسان عليه أن يسير بالطّريق الذي يرضي الله ﷻ، وإرضاء الله تبارك وتعالى أقرب ما جُبل عليه الإنسان وأُلصق بطبيعته لسببٍ بسيطٍ هو أنّ الإنسان بفطرته المركوزة فيه يميل إلى التّديّن، بدليل أنّ الله ﷻ قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ [الأعراف]، عهد الفطرة هذا مركوز في كلّ إنسان، فرضا الله حاصلٌ في أن تتّبع أوامره ﷻ، والله جلّ وعلا لم يكلّفك بما يشقّ عليك، حتّى العبادات من صلاة وصيام وحجّ وزكاة

هي ضمن دائرة الاستطاعة، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: من الآية ٢٨٦]، لكن هل رضوان الله منوط بالعبادات؟ أم بالمعاملات؟ أم بالأخلاقيّات؟ الجواب بالعبادات والمعاملات والأخلاقيّات والتّشريعات، حتّى لا نفصل المقاصد عن الشّعائر، إذا كنت أصوم وأصلّي وأحجّ وأزكّي ومع ذلك أكذب!! كيف يسوغ ذلك؟ أكاذب وتصلّي؟! أمحتكر وتريد أن تزكّي؟! فإذاً رضوان الله منوط بأن تعمل الخير وتؤدّي ما لربّك عليك، وأن تؤدّي ما لخلق ربّك عليك أيضاً، فهل من اتّبع رضوان الله كم باء بسخط من الله؟! هل يستوي هذا وهذا؟ طبعاً لا؛ لأنّ من اتّبع رضوان الله ﷻ فقد وفّقه الله ﷻ في الدّنيا وكان مآله إلى جنّات النّعيم، أمّا من باء بغضب وسخط من الله فمأواه جهنّم وبئس المصير.

(الآية ١٦٣) – ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾:

درجات للّذين اتّبعوا رضوان الله، وليس دركات؛ لأنّ الدّرجات ترتفع في الجنان، والدّركات تنخفض إلى قعر الجحيم، إذاً هناك درجات في الجنّات وليست درجة واحدة.

(الآية ١٦٤) – ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾:

ستّ مسائل منّ الله ﷻ علينا بها:

– الأولى: ما جاءت به الآية: ﴿إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا﴾ فقد منّ علينا

بالنّبيّ ﷺ، فكيف سيكون مكان رسولنا عندنا؟ هذا سؤالٌ للمتشدّدين الّذين ينهون عن مناداته بـ (سيّدنا)، والذين يرفضون الصّلاة عليه عقب الأذان، سنقول سيّدنا رسول الله شاء من شاء وأبى من أبى، وسنصلّي عليه بعد الأذان وخارج الأذان وفي كلّ وقت، صلّى الله عليه وسلّم تسليماً كثيراً، أعجب ذلك الوهّابيّة أم لم يعجبهم، هذا أمر لا يعنينا، يعنينا أن نتّبع القرآن في حبّ النّبيّ ﷺ، ما هو تعريف الأذان؟ هو إعلام بدخول الوقت، وهو سنّة مؤكّدة عن النّبيّ ﷺ وتوقير سنّته ولا سيما في مسألة الأذان، ونحن نلتزم بسنّة النّبيّ كما علّمه لسيّدنا بلال. والصّحابة الكرام كان الرّسول بين أظهرهم وكانوا يصلّون عليه كلّما رأوه ﷺ، وقد أمرنا الله ﷻ كما أمرهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]، فإن جهر المؤذّن بالصّلاة على سيّدنا رسول الله أليس هذا أمر حسن؟ أليس يليق هذا بمن تمنّ به الآيات على المؤمنين؟

فالله يمنّ على المؤمنين أن بعث فيهم نبيّاً، وجعله بشراً حتّى يكون أسوة سلوكيّة، قد يقول قائل: لماذا قال: على المؤمنين، ولم يقل: على البشريّة؟ طبعاً النّبيّ ﷺ أُرسل للعالمين كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، لكنّ هناك قسماً لم يؤمن به، فلا يأخذون منه ولا يستفيدون من هديه ﷺ.

– الثّانية: ﴿مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾، فكان من البشر حتّى يتمكّنوا من اتّباعه والاقتداء به.

– الثّالثة: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾، الآيات نوعان: إمّا آيات كونيّة، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران: من الآية ١٩٠]، هذه الآيات معجزات كونيّة، وإمّا آيات مقروءة، ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾ [يوسف: من الآية ١]، وكلّ آية ترونها في القرآن معجزة، والتّلاوة شيء يلي شيئاً أو يتلوه، هذا هو الأصل. إذاً نحن عندما نعلّم النّاس أحكام التّجويد هذا جزء من التّلاوة؛ لأنّ النّبيّ ﷺ كان يقرأ القرآن ويتلوه كلمة بعد كلمة كما أُنزل، فمجرّد أنّه علّم النّاس تلاوة القرآن فهو عطاءٌ مستمرٌّ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول النّبيّ ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[1]، فإذا علّم نبيّنا النّاس تلاوة القرآن فكم أودع من الحسنات في موازينهم؟! لذلك نحن نهتمّ بتحفيظ القرآن الكريم وبالقراءة المضبوطة للقرآن الكريم كما قرأه المصطفى ﷺ.

– الرّابعة: ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾، معنى التّزكية: الطّهارة والنّماء، إذاً طهّر نفوسهم بهذا القرآن وبسنّته أيضاً، ورفع قدرهم الإيمانيّ.

– الخامسة: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، تعليم الكتاب يعني تفسير وفهم مرادات القرآن الكريم؛ لأنّ الله ﷻ قال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، الحديث رقم (٢٩١٠).

﴿نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النّحل: من الآية ٤٤].

- السّادسة: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾، قال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: من الآية ٧]، وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النّساء: من الآية ٨٠]، والإنسان الوحيد المخوّل بالتّشريع بعد الله ﷻ هو رسول الله ﷺ، والحكمة: هي سنّة النّبيّ ﷺ، أقواله وأفعاله وإقراره وكلّ ما جاء به النّبيّ، بدليل قوله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: من الآية ٣٤].

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: كيف كان حال العرب قبل أن ينزل القرآن؟ كيف كان حال البشريّة جمعاء؟ لقد كان النّاس في غيابات الظّلام والجهل، وكانت القبائل يقتل بعضها بعضاً من أجل سباق خيل.

(الآية ١٦٥) - ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾:

﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾: أي أنتم أصبتم في غزوة بدر وانتصرتم.

﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ﴾: قلتم: كيف هذا؟

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾: ربط الإسلام الأسباب بالمسبّبات، فقد خالف الرّماة خطّة الحرب ولم يأخذوا بالأسباب، فالخسارة إذاً من عند أنفسهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: هو قدير أن ينصركم بعد ذلك، وهو قدير أن يُذيقكم نكسة تنتصرون بعدها.

(الآية ١٦٦) – ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾:

وما أصابكم يوم التقى الجمعان –أي يوم أُحُد– فبإذن الله، حتّى لا يقول إنسان: إنّ شيئاً بملك الله يجري خارج إرادته ﷻ، لكنّه قال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾ [آل عمران]، بعد ذلك قال لنا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾، أي أنّكم خالفتم أمر الرّسول ﷺ، فكان ما حدث من أنفسكم، وهو بأمر الله ﷻ؛ لأنّه ضمن قضاء الله لا يخرج الأمر عن قضائه.

(الآية ١٦٧) – ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾:

ألا يعلم الله ﷻ؟ طبعاً هو يعلم، انظروا قوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ثمّ: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾، إذاً في غزوة أُحُد بعد أن حدث هذا الانكسار وانخذل قسم مع المنافقين، وقسم لم يستجب والنّبيّ ﷺ يدعوهم في أخراهم، إذاً هذا علم حجّة عليكم، الله ﷻ يعلم سابقاً هذا الأمر لكنّه ربط السّبب بالمسبّبات، وأعطى الأوامر وترك الخيار للإنسان، والله ﷻ يعلم سابقاً ماذا ستختار، فهو يحاسبك على اختيارك لا يحاسبك على علمه؛ لأنّ علمه من قيوميّته ومن صفاته التي لا يحيط بها العقل البشريّ، فلا يستطيع عقل مخلوق أن يُحيط بمن خلقه وبصفات مَن خلقه، ومهما توصّل العقل إلى علوم فلن

يستطيع أن يعرف كيفيّة علم الله ﷻ، وماهية حكمته، ومدى قدرته إلّا ما أخبر الله عنه، مستحضراً دوماً قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشّورى: من الآية ١١].

﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾: في البدء عندما انخذل عبد الله بن أبيّ بن سلول بثلث الجيش عندما قيل لهم: تعالَوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا الهجوم عن بيوتكم في المدينة المنوّرة، قالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ لكنّ الله تعالى يعلم السّرّ وأخفى، فأخرج ما في أنفسهم وأظهره لنا كأنّهم قالوه، لذلك قال ﷻ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾، فهم يعلمون تماماً أنّ القتال حاصلٌ.

(الآية ١٦٨) - ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾:

الآن يعالج القرآن الكريم موضوعاً من أخطر المواضيع وهو موضوع النّفاق داخل المجتمع، ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾، المنافقون يحرّضون المسلمين الذين عادوا من غزوة أُحُد ويشكّكون في أوامر الله ﷻ وفي قضائه وفي كلّ ما حدث في غزوة أُحُد قائلين لو أطاعونا ما أصابهم القتل. فهم قعدوا وتخلّفوا عن جيش المسلمين قبل أن يقولوا: لو أطاعونا ما قتلوا، انظروا إلى الجواب الإلهيّ إلى أين نقلهم: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فالذي يعرف طريق السّلامة من القتل فليرنا طريق السّلامة من الموت، فالله يتحدّاهم أنّ الإنسان لا يموت إلّا بأجله،

لكنّ أشرف الموت أن يُقتَل الإنسان شهيداً في سبيل الله ﷻ.

(الآية ١٦٩) – ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: الحساب في الأصل هو العدّ، والمقصود هنا أنّ الحسابات البشريّة حسابات خاطئة فيما يتعلّق بالشّهداء الذين يضحّون بأنفسهم في سبيل الله وفي سبيل الوطن وفي سبيل الدّين والعرض والمقدّسات.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾: إيّاكم أن تعتقدوا أنّ الذين قتلوا في سبيل الله أموات، نفى الله صفة الموت عن الشّهداء بينما قال في كثير من الآيات: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: من الآية ١٨٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٥]، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]، إذا نظرتم إلى الشّهيد والجراح تعلو جسده تحسبون أنّه ميّت، لكنّ الله يقول: إنّه حيّ، وهي حياة (عنديّة): ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، إذاً هناك فارق بين ما عندك وبين ما عند ربّك، فعندما أتعرّض لقضيّة دنيويّة حياتيّة يكون منظاري منظاراً بشريّاً، وفي حالة النّظرة البشريّة يكون كلّ شيء ناقصاً؛ لأنّ النّاظرين في عالم أغيار، أنت حيّ الآن لكنّك سوف تموت، لكن عندما تستشهد يقول الله ﷻ عنك: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي إنّهم لن يموتوا وهم في حياة موصولة عند ربّهم،

﴿يُرۡزَقُونَ﴾: الرّزق من آلات الحياة، فالإنسان يحتاج إلى رزق في الحياة وليس بعد الموت، لكنّ الله أراد أن يؤكّد لكلّ النّاس ولأسر الشّهداء أنّهم يستقبلون كامل حظّهم من الحياة وألّا يحزنوا؛ لأنّ الشّهداء في أعلى مرتبة؛ لأنّهم لن يمرّوا بمرحلة البرزخ، فقد انتقلوا مباشرة للحياة عند الله ﷻ، لكن أنت لا تدري بهذ؛ لأنّك في عنديّة البشر، أمّا هنا فهي عنديّة الله ﷻ.

(الآية ١٧٠) – ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾:

﴿فَرِحِينَ﴾ لماذا يذكر حالة الفرح التي تلفّهم؟ لأنّ أجواء الحزن تلفّ بأسر الشّهداء والذين قدّموا أنفسهم ودماءهم وأرواحهم، فأراد الله ﷻ أن يطمئن أسر وأحباب الشّهداء ويقول لهم: إنّ شهداءهم فرحون فلماذا يحزنون أهلوهم؟ ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ قال: من فضله، ولم يقل من عدله، فالفضل هو الزّيادة عن العدل، العدل أن توفّى على قدر العمل كما قال ﷻ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾ [الأنبياء]، هذا العدل، أمّا الفضل فهو زيادة عمّا يستحقّ الإنسان، فأيّ تكريم هذا للذي قدّم نفسه وروحه ودمه فداء لوطنه ولدينه ولمقدّساته ولعرضه ولماله، لا يوجد بعد هذا التّعبير القرآنيّ ما يُسلّي قلوب المكلومين بشهدائهم أكثر من هذه الآية: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، ولم يكتف بذلك بل قال: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾: البِشْر من الفرح، وهو

مأخوذ من البشرة، فعندما يفرح الإنسان تُشرق بشرته.

﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: الحزن يكون على ما وقع، فالذين من ورائهم أي من خلفهم من المؤمنين إمّا أن يكونوا خائفين من هذا المصير، أي القتل والشّهادة، وإمّا أن يكونوا قد حزنوا على فقدان الأحبّة.

(الآية ١٧١) - ﴿* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾:

هم يستبشرون بنعمة من الله، وليست فقط النّعمة، وإنّما ما هو أكثر من النّعمة وهو الفضل، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النّحل]، إنّ اسم المعنى (النّعمة) لا يعدّ، لكنّ نعمة الله تشمل آلاف النّعم وهي مكتنزة في نعمة واحدة، فانظر إلى نعمة الماء مثلاً كم يوجد فيها من نِعَم، تزرع بها وتروي الظّمأ وتأكل بالاستعانة بها؛ لأنّ الطّعام يوضع له الماء وتحيي الأرض بعد موتها كما قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: من الآية ٣٠]، فعندما يقول المولى ﷻ: ﴿* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ فالنّعمة الواحدة من الله تشمل آلاف النّعم ضمناً؛ ولأنّ الأمر يتعلّق بالشّهداء فالله لم يكتف بأن يُنعِم عليهم، بل هناك زيادة على النّعم وهي الفضل الذي يعطيه الله ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: عند الله لا يضيع أجر، والأجر يكون على العمل، فعندما يعمل العامل عملاً فإنّه يستحقّ عليه

أجراً، فكيف إذا كان هذا العمل أن يضحّي بنفسه؟!

(الآية ١٧٢) - ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾:

سبب النّزول:

لمّا انصرف أبو سفيان والمشركون عن أُحُد وبلغوا الرّوحاء قالوا: لا محمّداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، شرٌّ ما صنعتم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب النّاس فانتدبوا حتّى بلغوا حمراء الأسد أو بئر أبي عيينة، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ﴾.

القرح: الجراح.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: هناك قضيّتان: الإحسان والتّقوى، فالإحسان كما عرّفه النّبيّ ﷺ: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»[1]، والمتّقون عرّفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذّاريات]، فهذا الدّين عظيم، وهو دين إحسان بدليل هذه الآيات، والتي تحمل ردّاً على كلّ من يتّهم الإسلام بالعنف والإرهاب.

(الآية ١٧٣) - ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾:

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السّاعة، الحديث رقم (٥٠).

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾: النّاس الحاضرون في المشهد من اليهود ومن المشركين ومن بعض المنافقين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾، هم يخوّفون المسلمين بالعدّة والعتاد، كما قالوا: إنّ قريشاً تجمع الآلاف لتعيد الكرّة على المسلمين بعد غزوة أُحُد، فماذا كانت ردّة الفعل؟ المؤمن لا يخشى من تدابير البشر فأقصى ما يستطيع البشر فعله هو تنفيذ إرادة ربّ البشر فيه.

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾: زيادة الإيمان هنا أنّهم لم يجعلوا في حسابهم العدد والعدّة والعتاد، وإنّما جعلوا ربّ النّاس وكيلاً لهم.

﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: هم وكّلوا الله ليدافع عنهم.

حسبنا الله: كفانا الله، ونعم الوكيل: نعم المولى لمن وليَه.

(الآية ١٧٤) – ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾:

قلنا: النّعمة تتضمّن آلاف النّعم، والفضل زيادة عمّا يستحقّون من عمل، ونحن عندما نقول في حلقات الذّكر: (حسبنا الله ونعم الوكيل) يجب أن نستحضر معناها حتّى ينتقل الذّكر إلى القلب، وحتّى يكون المؤمن ثابتاً متيقّناً من قدر الله وقضائه ونصره ووعده، ومن أجمل ما ورد عن الإمام جعفر الصّادق ﷺ قوله: "عجبت ممّن اغتمّ ولم يسمع قول الله: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: من الآية ٨٧]؛ لأنّ الله أعقبها بقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ

﴿نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾، ويقول: عجبت ممّن يخاف ولم يسمع قول الله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران]؛ لأنّ الله ﷻ أعقبها بقوله: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران]، ويقول: عجبت ممّن يُمكر به ولم يسمع قول الله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤﴾ [غافر: من الآية ٤٤]؛ لأنّ الله أعقبها بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: من الآية ٤٥]، ويقول ﷺ: عجبت ممّن يريد المحافظة على ماله وملكه ولم يسمع قول الله: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: من الآية ٣٩]؛ لأنّ الله ﷻ أعقبها بقوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: من الآية ٤٠]. والحقيقة أنّه عندما تزداد جرعة الابتلاء على الإنسان يرتفع إيمان المؤمن بالله، وليس العكس.

﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾: هم لم يمسسهم سوء؛ لأنّهم آمنوا بالله وبقضائه وبقدره، وإنّك ما جعلت الله وكيلاً عليك فلن يضرّك الضّارّون إلّا أذى.

﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾: هناك فرق بين الاستماع والاتّباع، ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران: من الآية ٣١]، نحن حوّلنا قول الله ﷻ وقول رسول الله ﷺ إلى استماع وليس إلى اتّباع، اتّبعوا الطّريق الذي يؤدّي إلى رضوان الله، ولماذا عبّر هنا عن أوامر الله برضوان الله؟ لأنّك إذا أردت أن ترضي الله فلا بدّ من أن تتّبع أوامره.

﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾: إنّ فضل الله على النّاس عظيم، ونعمه لا

تُحصى، يستيقظ الإنسان صباحاً وهو بصحّة، يقوم ويشرب ويتوضّأ ويسير، كم من نعمة غفل عنها الإنسان في اللّحظة التي يستيقظ فيها ولا يفكّر إلّا بما كان همّاً له في جانب واحد، وهذا لأنّ رتابة الحياة هي التي تؤدّي إلى أن ينسى الإنسان فضل الله العظيم عليه، لكنّه لو دققّ لوجد آلاف النّعم وأنّ فضل الله ﷻ علينا عظيم.

(الآية ١٧٥) – ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾: من الذي يخاف؟ هم أولياء الشّيطان، والشّيطان لا يستطيع أن يدخل إلى الإنسان إلّا من ثغرة فيه، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢﴾ [الحجر]، لكنّ الشّيطان لعنه الله توعّد: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص]، إذا كان الإنسان مخلصاً لله فلن يستطيع الشّيطان أن يدخل من أيّ ثغرة؛ لأنّ الإنسان يكون محصّناً، لكنّ الشّيطان يخوّف، فمن خاف فهو وليّ للشّيطان، ومن لم يخف وازداد إيماناً وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فالله مولاه.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: أطلقها الله ﷻ لكلّ الأجيال وعبر كلّ الأزمان، فالإنسان لا يخاف إلّا من الله ﷻ؛ لأنّ الأمر بيده وحده ﷻ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام، إنّي أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده**

تُجَاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء، لم يضرّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصّحف»[1]، هذا هو الإيمان، فمن يؤمن لا يخف إلّا الله ﷻ.

(الآية ١٧٦) - ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٧٦﴾:

انظروا إلى عظمة النّبيّ ﷺ ورحمته ورأفته بأمّته، فقد كان يحزن؛ لأنّهم لم يؤمنوا، ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النّحل]، فالنّبيّ كان يحزن لأولئك الذين يسارعون في الكفر، فيطمئن الله النّبيّ ﷺ أنّه نقل الأمر من النّبيّ ومن أتباعه من المؤمنين إليه ﷻ فقال: ﴿إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ فعداوتهم مع الله وليس مع رسول الله، هذه قوّة مساندةٍ كبيرةٍ يعطيها الله لرسوله ﷺ. وهنا يجب أن نتوقّف عند قول الحقّ: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾ فالنّبيّ ﷺ كان يحزن عندما يرى إنساناً لم ينشرح صدره للدّين؛ لأنّه وطّن نفسه لتخليص النّاس من الشّرك والظّلمات، فكانت دعوته ﷺ هي دعوة الحقّ والنّور والخير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

---

(١) جامع التّرمذيّ: كتاب صفة القيامة والرّقائق والورع، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، الحديث رقم (٢٤٥٣).

أنّ النّبيّ ﷺ تلا قول الله ﷻ عن إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، وقول سيّدنا عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة]، فرفع يديه وقال: «**اللّهمّ أمّتي أمّتي وبكى، فقال الله ﷻ: يا جبريل، اذهب إلى محمّد وربّك أعلم فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمّد فقل إنّا سنرضيك في أمّتك ولا نسوءك**»[1].

(الآية ١٧٧) – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: أي استبدلوا هذا بهذا، وهذه الباء تدخل على المتروك.

﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: لن يضرّوا الله بكفرهم وارتدادهم عن إيمانهم شيئاً، بل يضرّون بذلك أنفسهم، فهم يجلبون لها بكفرهم من عقاب الله ما لا قِبَل لها به.

(الآية ١٧٨) – ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ﴾: أولئك الذين لم

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب دعاء النّبيّ ﷺ لأمّته وبكائه شفقة عليهم، الحديث رقم (٢٠٢).

يُقتلوا، والذين يعتقدون أنّهم انتصروا في غزوة أُحُد هم مخطئون، وهذه طمأنة لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ هذه ليست لام التّعليل إنّما هي لام العاقبة أي لام الصّيرورة، كما في قوله ﷻ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: من الآية ٨]، هم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوّاً وحزناً، فهي ليست لام التّعليل، إنّما هم التقطوه ليكون لهم فرحاً، لكنّه صار لهم عدوّاً وحزناً، فهنا اللّام لام الصّيرورة، فالمعنى أنّ الله تعالى يُملي لهم أي إنّهم سيزدادون إثماً، والنّتيجة أنّ لهم عذاباً مهيناً، طبعاً عندما يسخدم المولى ﷻ وصفاً مختلفاً للعذاب، فيقول مرّة: إنّه عذابٌ عظيمٌ، ومرّة: عذابٌ أليمٌ، ومرّة: عذابٌ مهينٌ، فهي ليست كلمات ترد هكذا، بل تختلف بمدلولاتها، والمراد هنا أنّ الإنسان يُعذَّب وهو في حالة إهانة أمام أتباعه، فكلّ كلمة لها معناها المقصود.

(الآية ١٧٩) – ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾:

يذر: يدع أو يترك، فعل مضارع، لكن (يذر) و(يدع) باللغّة العربيّة هذان الفعلان لا ماضي لهما، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ هنا تصفيّة وتنقيّة للمؤمنين، وهنا ابتلاء للاصطفاء ولبيان المنافق، ففي المدينة المنوّرة بدأ الدّاء الخطير والعضال الذي هو داء النّفاق بالانتشار، والله يمنّ على المؤمنين فإنّه ما كان ليذر كشف المنافقين

في هذه العمليّة، فلم يكن المنافقون ظاهرين، ولكن عندما حدث ما حدث في غزوة أُحُد تبيّن أمرهم.

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾: الطّيب هو المؤمن، والخبيث هو الكافر.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾: عدم إطلاع النّاس على الغيب سنّة من سنن الله، ونجد بعض النّاس يذهبون إلى المنجّمين ليخبروهم بالمستقبل، لكن في بعض الأحيان قد يقول المنجّم والعرّاف أمراً ما ويحدث كما أخبر، فأنت بمقياسك تعتقد أنّه صادق وهو كاذب، قال ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمّد** ﷺ»[1]، والغيب له عدّة أنواع:

١- الغيب المطلق، وهو الذي يستأثر المولى بعلمه، ولا يطلع أحداً عليه، ولو أطلع الله النّاس على هذا الغيب ما عاش إنسان من الغمّ، لماذا؟ سأضرب لكم مثالاً: لو أطلعك الله على الغيب فعلمت أنّك ستعيش عشرين عاماً وبعد عشر سنوات سيصيبك مرض خطير، وسترزق بأشياء كثيرة محبّبة إليك... فعندما تسمع بقضيّة محزنة واحدة سيذهب كلّ الفرح وستبقى تفكّر فيها، وتموت قهراً، فإذاً من لطف الله ورحمته بخلقه استأثر بعلم الغيب، يقول ﷻ: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا

(١) المستدرك على الصّحيحين: ج١، ص ٤٩، الحديث رقم (١٥).

﴿يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام]، لم يقل: (مفاتيح الغيب) بل قال: ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾.

٢- الله سبحانه وتعالى قد يعطيك مفتاحاً تعلم به الغيب، مثال: هناك كهرباء لكن لا أحد يعلم بوجودها فهي غيب، فيعطيك الله مفتاحاً هو العلم فتصل إليها بعلمك، كانت غيباً فلا تعود غيباً بعد ذلك، وهذا هو الفرق بين مفتاح ومِفْتَح.

٣- وهناك غيب غاب عنك وهو مشاهد لغيرك، مثال: نحن لا نعرف ماذا يجري في حلب، هل تمطر أم لا، لكنّها مشاهدة بالنّسبة للنّاس هناك، فهم يعلمون هذا أمّا نحن فلا نعلم، وهذا لا يسمّى غيباً.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾: الله سبحانه وتعالى قد يطلع بعض الرّسل على الغيب كما أطلع النّبيّ صلى الله عليه وسلم، فأخبر عن أشياء كثيرة ستحدث وحدثت كما أخبر عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأكبر مثال في غزوة الخندق، وكانت كلّ الأحزاب واليهود قد تحالفوا جميعاً ضدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون في وضع من الشّدّة لا يوصَف وهناك صخرة لم يستطيعوا كسرها، فأخذ النّبيّ المعول فضرب ضربة وقال صلى الله عليه وسلم: «**الله أكبر، فُتِحَت فارس**»، ثمّ ضرب أخرى فقال: «**الله أكبر، فُتِحَت الرّوم**»[1]، فكلّ كلمة قالها حدثت، وهذا من إطلاع الله لرسوله على غيبه، وهو مصداق هذه الآية.

---

(١) مسند الحارث- زوائد الهيثميّ: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وقريظة، الحديث رقم (٦٩٢).

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾: عندما يقول: آمنوا بالله، أي آمنوا بمفردات الإيمان، أنا أؤمن بالله لكن عندما يحدث أمر ما فإنّ هذا الإيمان بالنّسبة لي يصبح معلّقاً، فأعتقد أنّ السّبب هو الفاعل أو العلّة، في حين أنّه في الكون لا يوجد إلّا فاعل واحد هو الله ﷻ، وكلّ ما سوى الله ﷻ فقد وقع عليه فعل الفاعل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: من الآية ١٠٧]، لا أحد فعّال لما يريد إلّا الله، قد تعتقد لفترة زمنيّة أنّك فعّال لأمر، أمّا الحقيقة فإنّ الفعّال لما يريد هو الله ﷻ، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾ أي آمنوا بمتطلّبات الإيمان، فقد تقول: آمنت بالله، ولا تؤمن بالحساب، ولا تؤمن أنّه لا يضرّ ولا ينفع إلّا الله، هذا معنى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ﴾؛ لأنّ الإيمان بالله جاء عن طريق رسل الله، فلا بدّ حتّى تكون مؤمناً كامل الإيمان أن تؤمن بالرّسل جميعاً.

﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: هذه قضيّة فيها قانون عامّ، هو إن تؤمن فلا بدّ أن تكون متّقياً.

(الآية ١٨٠) - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾:

هنا جاءت الآية تحديداً في شؤون المال؛ لأنّ المال أداة، والصّدقة هي برهان على الإيمان، فأنت لا تستطيع أن تبرهن على إيمانك إلّا من خلال الإنفاق، والذي يشمل الزّكاة والصّدقة، وفي التّعبير القرآنيّ الصّدقات تشمل الزّكاة وتشمل الصّدقة، والدّليل قوله ﷻ: ﴿*إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ

﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التّوبة]، الصّدقات هنا تعني الزّكاة المفروضة.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ﴾: كيف عرفت أنّ المقصود بالفضل المال؟ لأنّه جاء معه ذكر البخل.

هذا المال من فضل الله ﷻ وليس من فضل الإنسان الذي يجمعه، فهذا الإنسان الذي يبخل يعتقد أنّه حين يجمع ويكنز المال فإنّ هذا الأمر خير، فالله ﷻ يقول له: لا، إنّه شرّ؛ لأنّ الكرم والإحسان والزّكاة والصّدقات هي من علائم المؤمن.

﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾: هذا المال الذي جمعوه من جرّاء بخلهم وعدم شعورهم بحاجة الفقراء والمساكين سيحاسبون عليه يوم القيامة.

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: المعنى أنّ الله ﷻ هو الذي خلق وهو الذي سيرث الأرض ومن عليها، والمآل والرّجوع إليه.

﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾: لو تفكّرنا بهذه الآية لهزّتنا في الصّميم، فإنّ الله ﷻ خبيرٌ بما نعمل، هو ليس فقط عليمٌ وإنّما خبيرٌ، فلا يتحايل أحد على الله، ولا يكذب أحد على الله، ولا يحاول أحد أن يتذاكى على الله؛ لأنّه خبير بما نفعل.

(الآية ١٨١) - ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾:

سبب النّزول:

عن عكرمة أنّ النّبيّ ﷺ لمّا بعث أبا بكر إلى فنحاص اليهوديّ يستمدّه، وكتب إليه، وقال لأبي بكر: «**لا تفتت عليّ بشئ حتّى ترجع إليّ**»، فلمّا قرأ فنحاص الكتاب قال: قد احتاجَ ربّكم؟ قال أبو بكر: فهممت أن أمدّه بالسّيف، ثمّ ذكرت قول النّبيّ ﷺ: «**لا تفتت عليّ بشيء**»، فنزلت: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ الآية[1].

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: هذا ردّ يبشّر الرّسول ﷺ ويقوّي المؤمنين، وهو تهديد ترتعد له فرائص الإنسان.

هذا الكلام موجّه لليهود الذين كانوا في المدينة المنوّرة، الذين تآمروا، والّذين خدعوا، والذين حاولوا أن يشكّكوا النّاس برسالة النّبيّ محمّد ﷺ وبالقرآن الكريم.

(الآية ١٨٢) - ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾:

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾: عذاب جهنّم وعذاب الحريق، لا يكون بلا سبب، وإنّما هو نتيجة ما قدّمت أيديكم من عمل ومكر وجرائم وقتل

(١) كنز العمّال: كتاب التّفسير، باب سورة (آل عمران)، الحديث رقم (٤٢٨٨).

للأنبياء وجحود برسالة المصطفى ﷺ.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾: الله ﷻ هو العدل المطلق، والله تعالى يقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الأنبياء]، فالله ﷻ لا يظلم البشر، لكن في هذه الآية جاءت لفظة: ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ وهي صيغة مبالغة من ظالم، فمن الممكن أن يقول المشكّكون: أنت نفيت عنه أنّه (ظلّام)، ولم تنف أنّه (ظالم) -والعياذ بالله-، لكنّه قال بعد ظلّام: ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ وليس للعبد، أي هذا عبد وهذا عبد وهذا عبد، فصيغة المبالغة جاءت لتشمل كلّ هؤلاء العبيد على وجه الأرض، فأنت عندما تريد أن تتصدّى لتفسير القرآن الكريم يجب أن تكون عالماً بأسرار اللّغة العربيّة التي نزل كلام الله بها.

(الآية ١٨٣) - ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾:

هذه الآيات كلّها تُخاطب اليهود في المدينة المنوّرة، وعندما طردهم الرّسول ﷺ كان ذلك بسبب عدوانهم ومكرهم وظلمهم ونقضهم للعهود والمواثيق، على حين أنّنا نجد أنّ النّبيّ ﷺ عندما جاء إلى المدينة وقّع مع اليهود مواثيقَ ووضع دستوراً للمدينة يقضي بأنّ المسلمين والمشركين وأهل الكتاب يد واحدة على من عاداهم، وضع دستوراً تفتخر به الإنسانيّة في احترامه للتّعدّديّة، ومع ذلك نقضوا الدّستور والعهود والمواثيق لذلك كانت

هذه الآيات المتتالية عن اليهود:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾: هي الحجج الباطلة والمماطلة في الإيمان، حيث قالوا: إنّ الله عاهدنا ألّا نؤمن بأيّ رسول حتّى يأتي بقربان تأكله النّار، والقربان: هو ما يُتقرّب به إلى الله تبارك وتعالى، فإذا أكلت النّار القربان يكون صادقاً في أنّه من عند الله ﷻ.

﴿قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: الجواب من النّبيّ ﷺ لليهود.

﴿جَآءَكُمۡ رُسُلٞ﴾: فقد بُعث إلى شعب بني إسرائيل كثير من الرّسل، منهم سيّدنا موسى وسيّدنا داوود وسيّدنا سليمان وسيّدنا زكريّا وسيّدنا يحيى وسيّدنا عيسى عليهم السلام، كلّ هؤلاء الأنبياء جاؤوا إلى شعب بني إسرائيل، لكنّهم كانوا يقتلون الأنبياء ويمكرون ويفترون عليهم الكذب، فالله ﷻ يقول للنّبيّ ﷺ: ﴿قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي﴾ كلّ الرّسل الذين جاؤوا من قبلي ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالمعجزات الدّالّات على صدق البلاغ عن الله ﷻ، ﴿وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ﴾ أي بقربان تأكله النّار، ﴿فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فليست القضيّة قضيّة قربان، ونحن نعلم أنّ الرّسل عندما جاؤوا إلى البشريّة كانت رسالاتهم تتلاءم مع تطوّر العقل البشريّ في كلّ مرحلة من الزّمن، فالمعجزة التي كان يأتي بها الرّسول كانت حسيّة، موسى عليه السلام كان يضرب بعصاه الحجر فينفجر منه الماء، وضرب البحر بعصاه فانفلق،

وألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، ونزع يده فإذا هي بيضاء للنّاظرين، أمّا المسيح عليه السلام فمعجزاته أنّه يحيي الموتى بإذن الله، ويبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، إبراهيم عليه السلام دخل النّار فكانت برداً وسلاماً، نوح عليه السلام معجزته السّفينة، كلّ هذه المعجزات كانت على حسب العقل البشريّ، أمّا معجزة القرآن الكريم فهي معجزة باقية حسب تطوّر العقل البشريّ، وهي معجزة تتعلّق بالعقل والفكر والإقناع والحجّة والدّليل في كلّ ما جاء من آيات في كتاب الله سبحانه وتعالى، بعد ذلك يتابع المولى سبحانه وتعالى ويسلّي قلب النّبيّ صلى الله عليه وسلم بآية من أعظم الآيات فيقول:

(الآية ١٨٤) - ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾:

فإن كذّبوك يا محمّد، وقد كذّبوك، وستتعرّض لهذا التّكذيب من قبل المشكّكين والمنافقين واليهود والمشركين، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فطريق الدّعوة إلى الله تبارك وتعالى طريقٌ مزروعٌ بالأشواك، ولا بدّ من الصّبر.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الدّلائل الواضحات والمعجزات التي أثبتت صدق بلاغهم عن الله سبحانه وتعالى.

﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: تعني الكتب، جمع كتاب، وكان أحد الشّعراء يقول:

لمن طللٌ أبصرتُه فشجاني كخطّ زبور في عسيبٍ يمان

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: المقصود به التّوراة والإنجيل.

(الآية ١٨٥) – ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾:

هذه الآية العظيمة هي قانون إلهيّ عامّ لا يتخلّف عنه أحدٌ من البشر، لا الرّسل ولا الأنبياء عليهم السلام ولا الخلق أجمعون، والله سبحانه وتعالى خاطب أشرف خلقه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزّمر]، ونحن نعلم أنّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾ [الرّحمن]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٥]، فهذه الآية الكريمة تطرح هذا القانون العامّ الذي ما استطاعت البشريّة حتّى هذه اللّحظة ولن تستطيع حتّى يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها أن تؤخّر الموت لحظة عن إنسان قد جاء أجله، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾[الأعراف].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: هذا قانون إلهيّ، كلّ نفس لا بدّ أن تذوق سكرات الموت، فإيّاك أن تنظر إلى الحياة الدّنيا بعين واحدة، فكثير من الخلق يظنّون أنّ الحقّ خلق الخلق لهذه الدّنيا فقط، وأنت ترى جزءاً من هذه الحياة ولا ترى الجزء الآخر، فأراد الله أن يبيّن لخلقه جميعاً القانون الذي لا يستطيع أحد أن يتخلّف عنه، وهو الموت:

نسير إلى الآجال في كلّ لحظة وأعمارنا تُطوى وهنّ مراحل

ولم أر مثل الموت حقّاً كأنّما إذا ما تخطّته الأمانيُّ باطل
وما أصعب التّفريط في زمن الصّبا فكيف به والشّيب للرّأس شامل
ترحّل من الدّنيا بزاد من التّقى فعمرك أيّام وهنّ قلائل

كان سيّدنا الإمام عليّ، كرّم الله وجهه، يقول عندما يدخل إلى قوم ليقدّم لهم العزاء بوفاة عزيز على قلوبهم: "مسكين ابن آدم، مكتوب الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقّة، وتنتنه العرقة، وتقتله الشّرقة، عجبت كيف يفرح بالدّنيا مَن يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره، كيف يفرح بالدّنيا من تقوده حياته إلى موته، ويقوده عمره إلى أجله"، فهذه هي الحقيقة التي نعيشها جميعاً، كلّنا يعلم هذا المصير، فأراد الله أن يبيّن لنا تتمّة الحقيقة التي لا نراها: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، فأنت لا تطلب الأجر على العمل في هذه الحياة الدّنيا، إنّما الأجر الذي ستحصل عليه هو يوم القيامة، وهذا الأجر موصول، أمّا الأجر في الدّنيا فهو أجر مقطوع؛ لأنّ الحياة الدّنيا منتهية، فعندما يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يكون هذا وصلاً بغير منتهٍ، فالجنّة هي جزاءٌ خالدٌ غير منته، ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ فمجرد أنّك زُحزحت عن النّار فقد فزت، فكيف إن دخلت الجنّة؟! والقانون الذي يجب ألّا يغفل عنه النّاس: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الحياة الدّنيا متاع وعرض زائل يغترّ بها الإنسان، لذلك يقول النّبيّ ﷺ: «**ما لي وما للدّنيا، ما أنا في الدّنيا إلّا كراكبٍ استظلّ تحت**

شجرة ثمّ راح وتركها»(١)، الإنسان في الدّنيا لا يستطيع أن يحافظ على الصّحّة ولا على الشّباب ولا على المال ولا على الحياة، فأنت تتغيّر، اليوم أنت قويٌّ وغداً أنت ضعيفٌ، اليوم صحيحٌ وغداً سقيمٌ، اليوم غنيٌّ وغداً فقيرٌ، اليوم حيٌّ وغداً ميتٌ، فإذاً أنت في عالم أغيار؛ لذلك فإنّ الدّنيا متاع الغرور، يغترّ بها الإنسان، والله ﷻ سمّاها دنيا، أي إنّ هناك حياة عليا وهي الآخرة. الحياة الدّنيا ستنتهي، أمّا العليا فهي الحياة الباقية، ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت]، الحيوان: أي مصدر الحياة الدّائمة الباقية.

(الآية ١٨٦) – ﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾:

﴿۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾: أوّلاً في المال، والابتلاء يعني الامتحان، الابتلاء في المال أن يذهب هذا المال، وإمّا أن يكون ذهابه بطريقة التّصرّف بالمال. فإمّا أن يكون لديك مال ويذهب فتصبح فقيراً، وإمّا أن تكون غنيّاً ولكنّك تتصرّف بالمال بما يغضب الله، ولا تؤدّي حقّ المال، ولا تعطي الفقير ولا اليتيم ولا ذوي الحاجات وتصرف المال في المعصية، فإذاً هو ابتلاء، يقول ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ [الفجر]، فيعتقد أنّ التّكريم بالمال، ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب الزّهد، باب منه، الحديث رقم (٢٣٧٧).

﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦﴾ [الفجر]، أي إنّه يعتقد أنّ المال دليل كرامة وأنّ الفقر دليل الإهانة، فيقول الله ﷻ بعدها: ﴿كَلَّا﴾ فلا المال دليل كرامة ولا الفقر دليل إهانة، وانظر لامتحان المال: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر]، التّراث: الميراث. هذا في ميدان الابتلاء بالمال، أمّا في ميدان الابتلاء في الأنفس فمن يستطيع ألّا يمرض فليفعل، من يستطيع أن يمنع أيّ مرض أو أيّ جرثومة أو بكتيريا أن تصيبه؟! لا أحد على الإطلاق، أي إنّه سيُبتلى بنفسه أو إنّه سيموت. هذا نوع من الابتلاء.

﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾: الإيذاء غير الضّرر، الضّرر يوقع بالإنسان إيلاماً وجرحاً، أمّا الإيذاء فلا يمكث أثره، كما قال ﷻ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾[آل عمران: من الآية ١١١]، الإيذاء من الذين أشركوا ومن الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود الذين كانوا يحاولون إيذاء المؤمنين في ذلك الوقت بالقول والفعل والعمل ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ وهذا أمر طبيعيّ، فدائماً دعوات الأنبياء يتصدّى لها أعداء القيم والأخلاق والذين يوسوس لهم الشّيطان وعلى رأسهم اليهود، والعلاج لكلّ هذه الابتلاءات في المال والأنفس والأذى هو:

﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾: إن تصبروا أوّلاً، وتتّقوا ثانياً، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾: هناك صبر على وصبر عن، صبر على المتاعب، وصبر عن المغريات، إذاً هناك صبران، والصّبر هو ترجمة لحقيقة إيمان المؤمنين، فإذا كان الإنسان

صابراً فإذاً هو إنسان مؤمن؛ لأنّه يعلم أنّه لا يضرّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يخفض ولا يرفع، ولا يعزّ ولا يذلّ إلّا الله، فيصبر على قضاء الله، ومع الصّبر لا بدّ من التّقوى، والتّقوى هي جماع كلّ خير، فإذا عمل الإنسان بما في كتاب الله ﷻ، ورضي بما قسمه الله له، واستعدّ لملاقاة وجه الله، فهو يحقّق عناصر التّقوى التي أرادها الله ﷻ.

﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾: العزم: هو القوى المجتمعة على الفعل، ليس من الأمر السّهل أن تجمع كلّ القوى من أجل الصّبر؛ لأنّ الصّبر هو أمر صعب للغاية، وهناك أناس كثيرون يهلعون ويدّعون الصّبر ولكنّ الحقيقة أنّهم ينهارون لأوّل صدمة: «**إنّما الصّبر عند الصّدمة الأولى**»[1] كما قال ﷺ.

(الآية ١٨٧) – ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾:

هذا تقريع لليهود في المدينة المنوّرة زمن النّبيّ ﷺ وهو ممتدّ إلى كلّ حين، فالله أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب أنّه عليكم أن تبيّنوه للنّاس، ولا تكتمون الحقّ وأنتم تعلمون، لكنّهم نبذوه وراء ظهورهم، ونبذ الشّيء: طرحه بقوّة.

﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ﴾: كلّ الحياة الدّنيا هي ثمن قليل مقابل هذا النّكران ونبذ ما جاء في كتاب الله ﷻ.

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، الحديث رقم (١٢٢٣).

(الآية ١٨٨) - ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾:

الحسبان للأمر أن يظنّه السّامع دون حقيقته.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾: هم يفعلون أشياء سيّئة كما فعل اليهود والمشركون في غزوة أُحُد، فلقد خذّلوا النّاس وفرّوا من المعركة وهم فرحون، وإن قاموا بعمل يفرحون بأنّهم فعلوا كذا وفعلوا كذا، ويحبّون أن يحمدوا على فعله، لكنّهم حقيقة لم يفعلوا شيئاً.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ لأنّ الله ﷻ بصير بالعباد، ومطّلع على الصّغائر وعلى الأعمال، وهناك قانون عامّ يقضي بأنّ الإنسان يحبّ أن يحمد بما يفعل، وفي هذا تشجيع للإنسان أن يفعل الخير، أمّا إن أضمر الشّرّ وأراد أن يُحمد على ما لم يفعل، ولا يبتغي من وراء عمله إلّا المدح والظّهور في المجتمع فهذا الأمر لا يقرّه الإسلام أبداً.

(الآية ١٨٩) - ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾:

بعد كلّ ما ذكره المولى ﷻ عن غزوة أُحُد ومخالفة الرّماة وعن الشّهادة وعن فعل اليهود ومؤامراتهم وعن مكرهم وضلالهم وحقدهم أراد الله أن يُعلّم البشر أنّه لا يجري شيء في ملكه إلّا بأمره، وهو قانون عامّ:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾: له الملكيّة وله القدرة، هذا قانون حتّى يطمئنّ المؤمن، وحتّى يُنذر المشرك والكافر والجاحد بأنّ هذا ملك الله

وهذه قدرته، وأنّه يملك كلّ شيء، ولا شيء في ملكه خارج عن قدرته.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: يملك ويقدر وهو الوحيد الفعّال لما يريد، وهو يملك السّماوات ويملك الأرض، ويقول ﷻ في آيات أخرى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران]، يملك من يملك أيضاً، فملوك الأرض يعتقدون أنّهم يملكون، والله مالك المُلك، يملك السّماوات والأرض، ومَن في السّماوات ومَن في الأرض.

(الآية ١٩٠) - ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾:

سئلت السيّدة عائشة ﵂: أخبرينا بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله، قال: فسكتت ثمّ قالت: لمّا كان ليلة من اللّيالي قال: «**يا عائشة، ذريني أتعبّد اللّيلة لربّي**»، قلت: والله إنّي لأحبّ قربك وأحبّ ما سرّك، قالت: قام فتطهّر ثمّ قام يصلّي، قالت: فلم يزل يبكي حتّى بلّ حجره، قالت: ثمّ بكى فلم يزل يبكي حتّى بلّ لحيته، قالت: ثمّ بكى فلم يزل يبكي حتّى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصّلاة فلمّا رآه يبكي قال: يا رسول الله، لمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم وما تأخّر؟ قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً، لقد نزلت عليّ اللّيلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠﴾**»[1].

(١) صحيح ابن حبّان: كتاب الرّقائق، باب التّوبة، الحديث رقم (٦٢٠).

إذاً علينا بهدوء ورويّة أن نتفكّر بها، وأن نتأمّلها كما كان النّبيّ ﷺ.

﴿لَآيَٰتٍ﴾: دلائل وبيّنات واضحات.

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: أي ما بين تعاقب اللّيل والنّهار، والظّلمة والسّكن في اللّيل والحركة والنّور في النّهار، إذا نظر الإنسان إلى خلق الله وتأمّل في حركة الشّمس والقمر، وتعاقب اللّيل والنّهار، وما في السّماوات وما في الأرض، فإنّ العقل لا بدّ أن يدلّ صاحبه على خالق هذا الكون، فلا يمكن للإنسان أن يعتقد من النّاحية العقليّة أنّ فعلاً يحدث من دون فاعل، فنحن نتحدّث الآن ليس فقط من النّاحية الإيمانيّة ولكن من النّاحية العقليّة، هب أنّك كنت في صحراء وانقطعت ولا يوجد لديك ماء ولا طعام، وبينما أنت جالس، وإذ بمائدة عليها أطايب الطّعام والماء البارد، فأوّل ما تفكّر به مَن الذي قدّم لك هذه المائدة؟ وكيف وُجِدت هذه المائدة؟ فكيف بالإنسان يرى صباحاً ومساءً الشّمس والقمر والهواء والماء والغيوم ويرى الأرض والمجرّات ويرى كلّ ما يراه من آيات تدلّ على وجود الله ثمّ يقول: إنّها وُجِدت مصادفة، فإذا كنت في مدرسة وكان هناك مجموعة من الطّلّاب ووجد الأستاذ محفظة فيها مال فأخذ المحفظة وسأل الطلّاب: لمن هذه المحفظة؟ فقام طالب وقال: هذه لي، إذاً أصبحت ملكه حتّى ينازعه أحد ويقول: هذه لي، هذا في الأمر البشريّ البسيط، وأنت ترى السّماوات والأرض وترى ما أعدّ لك من ماء ومن هواء ومن أرض ومن نبات ومن زراعة ومن حيوان ومن كلّ مقوّمات الحياة ومن الشّمس ومن

القمر ومن تعاقب اللّيل والنّهار ثمّ تقول: ليس لها مَن أوجدها، هذا القول لا يستقيم عقليّاً، فإذا تكلّم العقل فإنّه يقول: لا بدّ من وجود خالق لكلّ هذا، ونعلم أنّه لم ينازعه في المُلك أحد، فإذاً هذا من النّاحية العقليّة، فكلّ مناقشة مع الملحدين حول وجود الله ﷻ تأخذ الجانب العقليّ، فهذا النّظام الكونيّ المتقن لا يمكن أن يوجد مصادفة، وعندما نقول إنّه لا يوجد تعارض بين العقل والنّقل لماذا؟ لأنّ النّقل، وهو القرآن الكريم وما صحّ عن رسول الله ﷺ، إنّما جاء بالعلم، وأوّل الآيات التي نزلت: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق]، وجاء القرآن الكريم وجاءت الرّسالات السّماويّة بعمومها لتبيّن للنّاس حقيقة هذا الخلق، وأنّ الله تعالى هو الخالق.

والله ﷻ لم يأمرك بوصفك مؤمناً أن تفرض الإيمان فرضاً على النّاس، بل طلب منك أن تناقش الأمور عقليّاً وعلميّاً فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠﴾، وكلّما ازداد الإنسان علماً ازداد إيماناً؛ لأنّه يصل إلى الحقيقة المطلقة وهي أنّ الله ﷻ هو الخالق؛ لذلك قال ﷺ: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها**»، فهي آيات فكر.

﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: هم أولو العقول.

(الآية ١٩١) - ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾:

إذاً الذّكر يصاحب الفكر، وهذا دليلٌ على أنّ أوّل مَن يجب أن يتوصّل إلى العلوم، وأوّل من يجب أن يكون مخترعاً ومكتشفاً وحضاريّاً وعلميّاً هو المؤمن؛ لأنّه مُطالب بذلك من خلال القرآن الكريم.

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾: قيل في تفسيرها: إنّ المقصود هو الصّلاة، فالصّلاة لا تسقط في حال من الأحوال، فإن لم تستطعها قائماً صلّيتها قاعداً، وإن لم تستطعها قاعداً صلّيتها مستلقياً، والصّلاة هي الذّكر؛ لأنّك تذكر المولى خلالها، والذّكر ضدّ النّسيان، أي إنّي جعلت الله تعالى في بالي بشكل دائم، كما قال ﷺ: «**أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»(١).

إذاً الذّكر قد يعني:

- الصّلاة.
- ذكر الله من تسبيحات وتحميدات وتهليلات.
- قراءة القرآن الكريم؛ لأنّ القرآن الكريم هو ذكر لله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤﴾ [الزّخرف].

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ربط الذّكر بالفكر، أراد أن تُعمل عقلك وأن تُقنع النّاس، لذلك الإيمان لا يكون بالإكراه، فكلّ ما تفعله الحركات التّكفيريّة الإرهابيّة والمتطرّفة هو خارج عن كلّ أحكام الدّين؛

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم السّاعة، الحديث رقم (٥٠).

لأنّ الإسلام اختيار ونقاش عقليّ، وهذا ما تدلّ عليه هذه الآيات، فعلينا أن نُخبر النّاس عن الإسلام لا أن نجبرهم على اعتناق الإسلام، وإنّما نحن نحاور النّاس كما يقول القرآن الكريم وكما يطلب منّا.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾: هؤلاء المؤمنون يُعملون العقل والفكر مع الذّكر، ويتفكّرون في خلق السّماوات والأرض، فما هو ردّ الفعل؟ ردّ الفعل قولهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾، هذا التّناسق والقوانين التي جُعلت في الكون، هذا الهواء والماء والبحار والأنهار والمدّ والجزر وتعاقب اللّيل والنّهار وكرويّة الأرض وحرارة الشّمس كلّ هذه الأمور لم يخلقها الله تبارك وتعالى باطلاً.

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: أوّل كلمة تطلق في الذّكر بعد الفكر هي: سبحانك، كلمة سبحان: تعني تنزيه لله عن أن يكون له مثيل في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله، وفي كلّ قضيّة عظيمة يبدأ الله ﷻ بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ﴾، ففي سورة (الإسراء) عندما تحدّث عن معجزة الإسراء قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء]، سبحان هنا أي ليس كمثله شيء، بقدرته وبقوته أسرى بعبده، وكذلك قال في قضيّة الخلق: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾ [يس]، وهنا الذي يذكر والذي يتفكّر أوّل كلمة يقولها: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أي أُنزّهك يا ربّ عن أن يكون لك مثيل أو شريك في هذا الخلق، سبحانك.

﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: أوّل ما يستشعره الإنسان بعد رؤيته لعظيم نعم الله هو شعوره بتقصيره، فمهما شكر ومهما عمل يشعر بالتّقصير دائماً.

(الآية ١٩٢) - ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾:

الخزي يكون لمن مآله إلى النّار؛ لأنّ هذا الإنسان العاصي أو هذا الإنسان المشرك أو هذا الإنسان الملحد مصيره إلى النّار.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾: الذين يظلمون النّاس والذين يظلمون أنفسهم، فليس لهم من ينصرهم يوم القيامة.

(الآية ١٩٣) - ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾:

مَن الذي سمعناه ينادي للإيمان؟ إنّه رسول الله، فقد جاء النّبيّ ﷺ وعرّفنا بربّنا وبلّغنا عنه، فأوّل كلمة قالوها: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ﴾ إذاً هذا النّداء الذي أطلقه النّبيّ ﷺ منذ ذلك الوقت، وقد بلغنا ببلوغ القرآن وسنّة وهدي نبيّنا إلينا، وأيضاً نداء الإيمان مركوز في فطرتنا قبل نزول الرّسل: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف].

﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾: فماذا ينتظر مَنْ جَمحت به

نفسه؟ «**كلّ بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التّوّابون**»[1] كما قال المصطفى ﷺ، وجاء حبيب بن الحارث إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنّي رجل مِقرافٌ، قال: «**فتُب إلى الله يا حبيب**»، قال: يا رسول الله، إنّي أتوب ثمّ أعود، قال: «**فكلّما أذنبت فتب**»، قال: يا رسول الله، إذاً تكثر ذنوبي، قال: «**عفو الله أكبر من ذنوبك يا حبيب بن الحارث**»[2].

فالتّوبة هي دعوة للإصلاح، ودعوة متكرّرة للكفّ عن الخطأ، فعندما نقول: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾، فأوّل موضوع يخطر على بال هذا الإنسان بعد كلّ هذا العطاء من الله ﷻ أن يطلب من الله تبارك وتعالى المغفرة، هناك فارق بين غفران الذّنوب وتكفير السّيّئات، وهناك فارق ما بين الذّنب وما بين السّيّئة، الذّنب هو أن تقصّر في حقّ ربّك ﷻ، والسّيّئة هي أن تسيء إلى غيرك بما يخالف شرع ربّك ﷻ، وغفران الذّنب يحتاج إلى استغفار الله ﷻ، أمّا تكفير السّيّئة فيكون بإعادة الحقوق إلى أصحابها مع الاستغفار، إذاً هناك قضيّتان أساسيّتان: غفران الذّنوب، وتكفير السّيّئات.

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: الأبرار: الذين برّوا بعهدهم وميثاقهم، وصدقوا مع ربّهم، نسأل الله ﷻ أن يحشرنا في زمرتهم.

---

(١) المستدرك على الصّحيحين: ج ٤، ص ٢٧٢، الحديث رقم (٧٦١٧).

(٢) مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: ج ١٠، الحديث رقم (١٧٥٣١)، ومِقراف: صيغة مبالغة من قارف: يُقال: قارف الخطيئة: أي خالطها.

(الآية ١٩٤) - ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾:

يا ربّ آتنا ما وعدتنا من نعيم ومن رضوان، وما جاء به الرّسل وبشّرونا به بعد أن تغفر لنا ذنوبنا وتكفّر عنّا سيئاتنا يوم القيامة، ولا تخزنا يوم القيامة؛ لأنّك يا ربّ أنت الفعّال لما يريد، وأنت الوحيد الذي لا تخلف الميعاد، هذا الدّعاء جاء بعد الفكر والذّكر.

(الآية ١٩٥) - ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾:

﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ﴾: قال: عمل عامل لا قول قائل، فالقضيّة تحتاج إلى أعمال، فعندما استجاب هذا الدّعاء الصّادق من المؤمنين الذين ارتقوا بأرواحهم وبأنفسهم وطلبوا المغفرة من الله وتكفير السّيّئات، استجاب لهم ربّهم: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾: فكان الجواب على ما تقدّم عمل وليس قول، فلا بدّ من برهان عندما تتقدّم للدّعاء، لا بدّ أن تقدّم العمل، والإسلام لا يقبل من الإنسان الكلام من دون مصداق وترجمان، والتّرجمان كما قال النّبيّ ﷺ: «**الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل**»[1]، فيجب عدم الفصل بين الشّعائر والمقاصد،

(١) مصنّف ابن أبي شيبة: كتاب الإيمان والرّؤيا، باب منه، الحديث رقم (٣٠٣٥١).

فإذا لم تؤدّ الشّعائر إلى المقاصد فإنّها لم تزدك من الله إلّا بعداً كما قال رسول الله ﷺ: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلّا بعداً**»(١)، «**ربّ صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع، وربّ قائم ليس له من قيامه إلّا السّهر**»(٢)، لذلك قال المولى ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ القضيّة قضيّة عمل، والعمل هو: قول وفعل.

﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: يوجد مساواة؛ لأنّ الأنثى ليست مهيضة الجناح بالحقوق، المرأة مكرّمة مصونة، ونحن الآن في ختام سورة (آل عمران) سنأتي مباشرة لسورة (النّساء) وستجدون في آياتها حقوق المرأة في الإسلام.

﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾: هناك حقوق وواجبات ومسؤوليّات، وهناك مساواة بالنّسبة للرّجل والمرأة بتكامل الأدوار التي خلق الله ﷻ كلّ من الرّجل والمرأة لها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجر]، فلا يقولنّ قائل: إنّ الرّجل مفضّل على المرأة، أو إنّ المرأة مفضّلة، التّفضيل بين الرّجل والمرأة وبين النّاس جميعاً إنّما يكون بالأعمال الصّالحة، وإنّما يكون بالتّقوى.

﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: إذاً هناك من هو في المقدّمة، هؤلاء هم المهاجرون الأوائل الذين أُخرجوا من ديارهم وهاجروا من مكّة إلى

---

(١) المعجم الكبير للطّبرانيّ: باب العين، أحاديث عبد الله بن العبّاس ﷺ، الحديث رقم (١١٠٤٧).

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الصّيام، باب ما جاء في الغيبة والرّفث للصّائم، الحديث رقم (١٦٩٠).

المدينة، وقد أُخرجوا من ديارهم قسراً.

﴿وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾: ما كان الأمر إلّا أنّهم قالوا: ربّنا الله، فلذلك حاربتهم قريش والمشركون في ذلك الوقت وأوذوا وقاتلوا وقُتلوا في غزوة بدر وفي غزوة أُحُد، وهذه الآيات جاءت بعد غزوة أُحُد.

﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: فالثّواب للجزاء على هذا العمل هي جنّات تجري من تحتها الأنهار، والجنّة من جنّ أي ستر، فهي تجنّ: أي تستر بكثرة الأشجار، فعندما يصف الله الجنّات، فإنّه يقرّب للعقل البشريّ ما يتعلّق بعالم الغيب، لا يمكن للعقل البشريّ أن يستوعب ما يجري بعد الموت، لماذا؟ لأنّ العقل البشريّ قد رُكّب وجُهّز ليستقبل الحياة، أمّا ما بعد الحياة فستكون الأمور مختلفة، وسيكون الجهاز المستقبل مختلفاً عن الجهاز المستقبل في هذه الحياة الدّنيا، وفي آيات أخرى يقول ﷻ: ﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرّعد]، فهو يأتي بمثلٍ قريبٍ لما يراه البشر بشكلٍ حسّيٍّ في الحياة الدّنيا، أمّا الماهيّة فلا يمكن أن نعلمها إلّا بعد الموت، وبعد أن يصل الإنسان من خلال عمله ورحمات الله إلى جنّات الخلد.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾: ما عند الله يختلف عمّا عند البشر، أنت تأخذ ما عند البشر بمقاييس البشر، أمّا ما عند الله فهو من مقاييس ربّ البشر ﷻ.

(الآية ١٩٦) - ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾:

تقلّبهم: تصرّفهم، وفي الأصل التّقلّب: هو حركة ونشاط في الحركة، فعندما يستطيع الإنسان أن يتقلّب أي يستطيع أن ينتقل من مكان إلى مكان، كما كان المشركون وأعداء الدّين في ذلك الوقت يفعلون، فهذا متاعٌ قليلٌ مهما طال؛ لأنّ عمر الدّنيا قليل، وأنت لا تقيس عمر الدّنيا إلّا بعمرك في الدّنيا، فبالنّسبة لك الدّنيا هذه الفترة الزّمنيّة التي تعيش فيها من الولادة إلى الموت، بغضّ النّظر عن ملايين السّنين لبقيّة البشر، فعندما تموت تكون الدّنيا قد انتهت بالنّسبة لك. فعلى الإنسان ألّا يغترّ عندما يرى قوّة الكفّار، وانتقالهم في البلاد من مكان إلى آخر، فهو كما أخبر ﷻ:

(الآية ١٩٧) - ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾:

استمتاعٌ قليل، والمأوى والمآل سيكون في النّهاية إلى جهنّم وبئس المهاد. والمهاد: هو المكان الّذي يستلقي فيه الإنسان.

(الآية ١٩٨) - ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾:

عندما يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾: فالله ﷻ يتحدّث عن حقيقة الدّين؛ لأنّ التّقوى هي جوامع الخير وطاعة المولى وعدم معصيته، وقد أتت هذه الآية بعد الآية المتعلّقة بالنّار وهي مأوى الّذين قاتلوا الرّسول في ذلك الوقت.

﴿نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ﴾: النُّزل يعدّ للضّيف، فكيف بما أعدّه ربّ البشر تبارك وتعالى للبشر؟!

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾: الأبرار: الذين برّوا بعهدهم مع ربّهم.

(الآية ١٩٩) - ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾:

يؤرّخ الله ﷻ لإيمان أهل الكتاب الذين صبروا، وهنا قانون صيانة الاحتمال، فالله تعالى لا يبخس النّاس أشياءهم، فهناك من أهل الكتاب مَن آمن بالله وبما أُنزل على سيّدنا رسول الله ﷺ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾: أولئك الذين آمنوا بما نزّل على رسول الله ﷺ من أهل الكتاب، ولا يمكن أن يبيعوا دينهم بعرض قليل من هذه الحياة الدّنيا لهم أجر لا يمكن تصوّر مقداره؛ لأنّه من عند الله ﷻ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: حتّى لا يغترّ الإنسان في هذه الحياة الدّنيا ويعتقد أنّه لن يُحاسب، فليعلم أنّ الله سريع الحساب؛ لأنّه ما بين حياتك وموتك لحظات وستتعرّض لهذا الحساب على ما قدّمت من عمل صالح أو طالح.

ثمّ يختم المولى ﷻ سورة (آل عمران) بهذه الآية العظيمة:

(الآية ٢٠٠) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾:

هذا قانون وقاعدة إلهيّة عامّة وكلّ من آمن بالله عليه أن يأخذ بها وأن يستعدّ لأن يكون ممتثلاً لأمر الله ﷻ؛ لأنّه دخل بعقد إيمانيّ مع الله،

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا الأمر لمن آمن بالله ولمن أيقن أنّ الأمر بيد الله تبارك وتعالى، وبأنّ قضاء الله نافذ، وأنّ الله ﷻ هو الذي يضرّ وينفع، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، وأنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، هذا الإنسان المؤمن كلّفه الله وأمره أن يصبر ويصابر ويرابط ويتّقي الله ﷻ.

﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾: ما الفرق بين الصّبر والمصابرة؟ صابروا: هناك مفاعلة، أمّا اصبروا: أي اصبر في نفسك، اصبر على ما تُبتلى به في الحياة الدّنيا، ولا يمكن أن تترجم الإيمان إلّا بالصّبر، لذلك قال ﷺ: «**الصّبر نصف الإيمان**»[1]؛ ولذلك الصّائم صابر، فكلّ أنواع الابتلاءات في هذه الحياة التي يتعرّض لها الإنسان من عالم الأغيار الذي يعيش فيه، من انتقال من صحّةٍ إلى مرضٍ، ومن قوّةٍ إلى ضعفٍ، ومن شبابٍ إلى هرمٍ، ومن غنى إلى فقر، ومن حياةٍ إلى موتٍ، ومن سرورٍ إلى المنغّصات والآلام والأحزان، وكلّ ما يجري على بني آدم، ولا يستطيع أحد أن يتخلّف عن قانون الابتلاء الإلهيّ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك]، إذاً لا بدّ في هذه الحياة من الامتحان، والأجر يكون بعد هذه الحياة، ولا بدّ من الصّبر فإن لم تكن صابراً فلن تكون مؤمناً على الإطلاق، أمّا المصابرة فهي مفاعلة تختلف عن الصّبر بأنّك أنت صبرت، وإذا كان مَن هو أمامك من عدوّ يصابر ويجالد

---

(١) مسند الشّهاب: الصّبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كلّه، الحديث رقم (١٥٨).

في محاربته لك فعليك أن تزيد من حجم الصّبر وهذا يُسمّى مصابرة، فالصّبر في نفسك، أمّا المصابرة فأنت بها تصبر زيادة عن مقدار ما يصبر خصمك أمامك، فهذه مصابرة، والمرابطة لا تكون فقط بالخيل وبالعمليّة العسكريّة والسّلاح، المرابطة تكون أيضاً بالعلم، المرابطة أن يكون فيها الإنسان ثابتاً أمام الهجمات المتعلّقة بالقيم والأخلاق والدّين، فنحن نقف على ثغر من ثغور الإسلام، والمؤمنون يجب أن يكونوا واعين لهذا الدّرس الإلهيّ؛ لأنّه عندما يقول: ﴿وَرَابِطُواْ﴾: فعليك أن ترابط على القيم، وأن لا يؤتى الإسلام من قِبَلك، وكيف يؤتى الإسلام من قِبَلك؟

١- عندما لا تأخذ بمقاصد الشّريعة الإسلاميّة.

٢- وعندما تفصل بين الشّعائر وبين المقاصد.

٣- وعندما تقول ما لا تفعل.

٤- وعندما تكذب وتفتري وتنمّ وتغتاب، ومع ذلك فأنت تقوم إلى الصّلاة، فلا تنهاك عن الفحشاء والمنكر ولا تزيدك قرباً من الله، وكذلك سائر العبادات بشكل عامّ.

لذلك يجب أن لا يؤتى الإنسان من خلال ممارسته للشّعائر، يقال: إنّ هذا مصلٍّ، ثمّ يفعل فعلاً فاحشاً فيسيء إلى كلّ المصلّين الآخرين، فالمرابطة لا تكون بالكلام، وإنّما المرابطة بالثّبات على القيم، وهناك الكثير من الهجمات التي يتعرّض لها الإسلام في هذه الأيّام نتيجة ما جرى وما يجري حولنا من ارتكاب لجرائم بشعة تحت شعارات ومسمّيات إسلاميّة،

فأخذ بعض النّاس يردّدون ما أراده الأعداء لنا ويقولون: أينما وُجِد الإسلام وُجد التّخلّف والإرهاب والقتل والظّلام، هذا الكلام غير صحيح، فالتّخلّف والجهل لا يرتبطان ولم يرتبطا في يومٍ من الأيام بالتّمسّك بالدّين، وإنّما على العكس من ذلك، فخلال ألف عام كان الإسلام وكانت الحضارة الأولى هي الحضارة العربيّة والإسلاميّة، وكانت تنتشر العلوم من بلادنا، فما علاقة الدّين بالتّخلّف؟ فالدّين يحضّ على العلم، ويحضّ على صنع الحضارة.

ومن المرابطة أن تكون متقدّماً علميّاً حتّى تقدّم الصّورة الحقيقيّة للإسلام، فعندما نكون متخلّفين فنحن نقدّم صورة مظلمة عن ديننا الإسلاميّ، فعندما يتحدّثون مثلاً عن حقوق الإنسان يقولون: إنّ حقوق الإنسان جاءت مع الثّورة الفرنسيّة، وهذا خطأ، لقد جاءت قبل ذلك بكثير منذ ألف وأربع مئة عام، جاءت حقوق الإنسان مع الإسلام، ونحن للأسف لا نعلّم الأجيال هذه الحقيقة، وعندما يتحدّثون عن حقوق المرأة فحقوق المرأة جاءت مع الإسلام، وعندما يتحدّثون عن النّهضة العلميّة فهي جاءت مع الإسلام، كلّ هذه الأمور يجب عليك أن ترعاها من خلال ما تتحدّث الآية عنه من المرابطة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: إذاً مع الصّبر والمصابرة والمرابطة والثّبات لا بدّ من أن تحقّق التّقوى. والتّقوى: أن تجعل بينك وبين النّار حاجزاً، ولن يكون هناك حاجز بيننا وبين النّار إلّا بطريقة واحدة، هي أن نطيع الله جلّ وعلا.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: الفلاحة هي حرث الأرض لتهيئتها للبذار، حتّى نحصل على الثّمار، هذا مشهديّ للنّاس.

ويأتي الفلاح من هذه الكلمة، ويكون الإنسان مفلحاً في حال اتّخذ الصّبر والمصابرة والمرابطة والتّقوى سلاحاً له في هذه الحياة الدّنيا.

تفسير سورة
(النّساء)
من الآية: (١ – ٢٣)

تفسير سورة (النّساء)

تأتي هذه السّورة رابعة بعد (الفاتحة) و(البقرة) و(آل عمران) وسمّيت سورة (النّساء).

وتعالج هذه السّورة أحكام المرأة وأحكام الأسرة وأحكام الميراث وأحكام الأيتام، وبناء الأسر لا يكون على الشّكل الذي أراده الغرب لنا، نحن نتمسّك ونعتزّ بقيمنا، هذه القيم الثّابتة التي جاءت في كتاب الله وفي سنّة وهدي سيّدنا رسول الله ﷺ، وهناك محاولة عبر الزّمن لتضليل العامّة حول أحكام الشّريعة الإسلاميّة المتعلّقة بالمرأة.

وسورة (النّساء) ليست السّورة الوحيدة في القرآن الكريم التي تحدّثت عن الأحكام المتعلّقة بالمرأة، ومن يرد أن يتحدّث عن الإسلام يجب أن ينظر إلى ما فعله الإسلام، وإلى الحضارة التي أنتجها والتي أخرج بها البشريّة جمعاء من الظّلمات إلى النّور. ومع الأسف الشّديد فإنّ الكثير من النّاس لا يعرفون الحقائق وذلك لعدّة أسباب:

- منها تآمر الصّهاينة واليهود عبر التّاريخ.
- ومنها تآمر الغرب على هذه الأمّة.
- ومنها جهل المسلمين بدينهم وبأحكامه، وخلط بعض العادات التي دخلت على بلادنا في فترات الانحطاط، والتي أصبحت تأخذ أمام النّاس طابعاً إسلاميّاً متشدّداً، رغم أنّ الإسلام لا يوجد فيه تشدّد، وما خُيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلّا اختار أيسرهما ما لم

يكن إثماً، فالإسلام يدعو دائماً إلى الوسطيّة والاعتدال والسّماحة واليسر في الأحكام.

يجب أن نقارن الأمور قبل الإسلام وبعد الإسلام، ومَن أعطى المرأة حقوقها عبر تاريخ البشريّة، نبدأ من هنا لا من عصر الانحطاط ومخلّفاته، فلنلق ضوءاً على حالة المرأة قبل الإسلام حيث كانت كلّ المجتمعات تنكر حقوق المرأة، حتّى في الغرب كانوا لا يعتبرونها من جنس البشر، وكانت في فترة الحيض تُمنع من الأكل مع زوجها، وكانت تُمنع من الميراث، وهذا بشكل عامّ في كلّ المجتمعات، فإذا رأينا كيف أخرج الإسلام البشريّة من امتهان المرأة إلى رفع مكانتها نعرف أنّ أوّل من طالب وأوّل من أعطى المرأة حقوقها هو الإسلام، لذلك نجد في القرآن الكريم سورة تسمّى سورة (النّساء)، المرأة هذه الإنسانة التي يجعلها الإسلام بمصافّ الرّجل في الحقوق والواجبات ويجعلها تتكامل مع الرّجل، أراد الإسلام أن يزيل الحيف والظّلم عنها، فذُكرت هذه المرأة في سورة (النّساء) وفي سورة (المائدة) وفي سورة (الأحزاب) وفي سورة (الطّلاق) وفي سورة (التّحريم) وفي سورة (الممتحنة) وفي سورة (المجادلة) وفي سورة (مريم)، فتحدّث القرآن الكريم عن المرأة كما تحدّث عن الرّجل تماماً، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات].

هناك ظروف اجتماعيّة جاءت الأحكام لتعالجها، وتتدرّج في إخراج النّاس ممّا ألفوه، فلنبدأ بسورة (النّساء) مع كلّ ما يتعلّق بالمرأة والميراث.

(الآية ١) – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾: المطالبة بأن نتّقي الله ﷻ الذي يعطي الدّلائل والإثباتات على أنّه هو الخالق: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ وهي نفس آدم عليه السلام، والخلق: هو إيجاد من عدم، وإمداد من عدم، الله خلق وأمدّ النّاس بالماء والهواء والزّرع وكلّ ما نراه.

قال هنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾: ولم يقل: (يا أيّها النّاس اتّقوا الله)؛ لأنّه عندما يتحدّث عن الألوهيّة يتحدّث عن الطّاعة، أمّا عندما يتحدّث عن الرّبوبيّة فإنّه يتحدّث عن العطاء، فالله قبل كلّ شيء هو الذي خلقنا من نفس واحدة، فإذاً أيّ مساواة وأيّ حقوق إنسان يمكن أن تعدل هذه الآية في القرآن الكريم، الذي خلقنا سواسية كأسنان المشط، فلا كبير ولا صغير، ولا أمير ولا مأمور، ولا أبيض ولا أسود ولا أحمر، ولا غنيّ ولا فقير، ولا ضعيف ولا قويّ.. النّاس جميعاً خُلقوا من نفس واحدة، قال ﷻ: ﴿*مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف]، عندما خلق الله آدم لم يُرِ النّاس طريقة الخلق ولكنّه ﷻ أراهم نقض الخلق بالموت، وتحدّث المولى عن خلق الإنسان فقال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ

﴿أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون]، هذه مراحل تطوّر الجنين وقد ثبت علمياً مصداق كلّ حرف ورد في هذه الآية الكريمة، وعندما نريد أن نتحدّث عن خلق آدم فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السّجدة]، بعد الطّين تمّت التّسوية: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر]، نحن لم نرَ كيف خلق الله آدم عليه السلام، لكنّنا نرى موت بني آدم، فعند الموت أوّل شيء يخرج منه هو آخر شيء دخل إليه، فتخرج الرّوح أوّلاً وهي آخر من دخلت بعد الخلق، وبعد خروج الرّوح تتيبّس الجثّة ثمّ تتحلّل وتصبح طيناً ثمّ يتبخّر منها الماء فتصبح تراباً، فنرى مصداق قول الله ﷻ في طريقة خلق آدم عليه السلام.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: خلق كلّ النّاس من نفس واحدة، كلّ النّاس انبثقوا من نفس آدم عليه السلام، جاء أبناء آدم ومنهم جاء أبناء وهكذا حتّى توسّعت البشريّة كلّها، فيعود كلّ ذلك إلى نفس واحدة.

ولمّا كان النّاس جميعاً من نفس واحدة، فلا ينبغي أن يتكبّر أحد على أحد، فلا يوجد أبيض ولا أسود في ميدان التّمايز بين النّاس، ولا غنيّ ولا فقير، قال النّبيّ ﷺ **«إنّ الله قد أذهبَ عنكم عُبَّيَّة الجاهليّة، إنّما هو مؤمن تقيّ وفاجر شقيّ، النّاس كلّهم بنو آدم، وآدم خُلِق من تراب»**[1]،

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب المناقب، باب في فضل الشّام واليمن، الحديث رقم (٣٩٥٥).

فأيّ مساواة في البشريّة أعظم من هذه المساواة في القرآن وفي سنّة النّبيّ محمّد ﷺ؟!

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: خلق منها زوجها من نفس نوعها، فإيّاك أن تعتقد أنّ التّكريم لآدم فقط، بل لآدم وزوجه حواء.

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: بثّهم أي أطلقهم للانتشار، لم يتجمّعوا في مكان واحد، بل انتشر الخلق في الأرض.

لماذا لم يقل كثيرات؟ هذا من إعجاز القرآن الكريم، عبر التّاريخ النّساء في المجتمعات أكثر من الرّجال فهذا واقعهم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بدأت الآية بـ: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾، بعد ذلك جاء قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، هناك فارق بين اتّقوا ربّكم واتّقوا الله، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي يذكّر الإنسان بالنّعم التي أنعمها عليه، والرّبّ هو المعطي والمنعم، والإله هو المطلوب عبادته، إذاً ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بعد أن تعرّفوا أنّه هو الذي خلقهم وأنعم عليهم أمرهم أن يتّقوه أي يلتزموا بأوامره.

﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾: حين يسأل إنسانٌ إنساناً شيئاً يقول له: بالله عليك، والأرحام كذلك فيقولون: أسألك بالرّحم التي تصل بيني وبينك، لماذا بعد أن تحدّث عن الله قال: ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾؟ لقيمة صلة الرّحم، قال ﷺ: «**إنّ للرّحم لساناً ذلقاً يقول يوم القيامة: ربِّ صِلْ مَن وصلني،**

واقطعْ مَن قطعني»[1] لذلك عندما تحدّث الله عن عبادته ذكر بعدها مباشرة الإحسان للوالدين: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: من الآية ٢٣]، ﴿۞قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأنعام: من الآية ١٥١]، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان]، الأرحام الأب والأمّ والأشقّاء والإخوة والأقارب، فالذي لا يكون فيه خير لأقاربه لا يكون فيه خير لبقيّة النّاس، وهذه الدّوائر في المجتمع أراد الإسلام أن تتكامل، كيف تحافظ على المجتمع إذا كانت الأسرة مفكّكة والأرحام مقطّعة؟ لا بدّ من صلة الأرحام، لذلك لا يقبل الله الصّدقة إن كان لديك قريب محتاج وأعطيت غيره، فلا بدّ أوّلاً أن تغطّي مَن حولك، فلو أنّ كلّ غنيّ أنفق على الفقراء من رحمه لما وجدنا فقراء في المجتمع، والله ﷻ عندما تحدّث عن رمضان قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة]، فإن لم تستطع أن تصوم أطعم الفقير، أطعم المسكين، أطعم المحتاج،

(١) شعب الإيمان: السّادس والخمسون من شعب الإيمان وهو باب في صلة الأرحام، الحديث رقم (٧٩٣٦).

وعندما قال ﷻ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [الماعون]، من الذي يكذّب بالدّين؟ ماذا يفعل؟ ما هي صفته؟ ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون]، لا يمكن لعاقل على وجه الأرض أن يقول: إنّ الإسلام دين إرهاب وتطرّف وقسوة وعنف، بل هو دين اللّطف والرّعاية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: الرّقيب: هو الذي ينظر ويتابع، من المراقبة، فلنعلم أنّ الله ﷻ يراقب كلّ حركة وكلّ خاطرة.

(الآية ٢) – ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾:

عندما تحدّث المولى ﷻ عن النّفس الواحدة وأنّه خلق منها زوجها، كان السّائد في كلّ مجتمعات الأرض أنّ المرأة هي العنصر الضّعيف، فأراد الله أن يغيّر من قناعات البشر ويبيّن أنّ المرأة كالرّجل، وأنّها خُلقت من نفس الرّجل، بعد ذلك أتى إلى الضّعف الّذي ينتج عن فقدان أحد الأبوين، الضّعف يكون باليتم فتحدّث عن اليتامى، واليتيم: هو الذي فقد أباه ولم يلق حنان الأب ورعايته، أضعف حلقة في المجتمع هي حلقة اليتم، فقال ﷻ: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ﴾؛ لأنّه من المعلوم أنّ اليتيم الذي فقد أباه يكون هناك وصيّ عليه، فمال اليتيم يبقى تحت رعاية الوصيّ حتّى يكبر ويصبح في سنّ يحقّ له فيها التّصرّف بأمواله، وهي سنّ الرّشد والبلوغ.

﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾: طالما أنت وصيّ على هذا المال فقد تهتمّ

بماله؛ لأنّك تضمّ مالك إلى ماله، وأنت تحاول أن تدير وتنمّي مال اليتيم فإيّاك أن تتبدّل الخبيث من مالك بالطّيّب من مال اليتيم.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾: يجب أن يكون هناك محافظة كاملة على مال اليتيم.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾: حوباً: إثماً كبيراً.

ومن تكريم الله لليتيم أنّ جعل نبيّنا يتيماً، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضّحى]، وقال رسول الله ﷺ: «**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا**»، وأشار بالسّبابة والوسطى[1].

(الآية ٣) – ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾:

ألّا تقسطوا: ألّا تعدلوا، القسط: العدل.

إذا خاف الإنسان ألّا يقسط في اليتامى فما علاقة: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾؟ يتحدّث المولى ﷻ أوّلاً عن حقوق الأيتام، فيجب عليك أن تعطي اليتيم حقّه، وألّا تتبدّل الخبيث بالطّيّب، وأن تكون مقسطاً في حقّه، كذلك الإنسان الذي يريد أن يتزوّج من اليتيمة، قد يريد الزّواج منها من أجل مالها، أو لأنّها يتيمة لا قوّة لها إضافة إلى ضعفها كونها امرأة، جاء

(١) كنز العمّال: ج٣، الحديث رقم (٥٩٩٤)، كافل اليتيم: الذي يُنفق عليه.

الحديث هنا في معرض قضيّة اليتم، وعندما بدأ القرآن الحديث عن النّساء أشار إلى أنّ الوعاء الحاضن للنّفس البشريّة هو المرأة، وهذا من تكريم المرأة.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾: إن خفت ألّا تقيم العدل باعتبار أنّها يتيمة، أو يمكن أن تأخذ من مالها بعد أن تتزوّجها، اترك هذا الأمر فأمامك متّسع في أمر الزّواج.

﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾: ما طاب لكم: ما أحلّ لكم؛ لأنّه قال في آيات أخرى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [النّساء]، الحديث عن العدل وعن اليتم وعن الضّعف وعن حقوق المرأة واليتيمة، فالمجتمع كان يسلب المرأة حقّها، فاترك هذا الأمر ولا تقع في المحظور، وإن خفت ألّا تكون عادلاً مئة بالمئة مع هذه اليتيمة فتزوّج ما أُحِلَّ لك من النّساء ﴿مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾: أُثيرت مشكلة كبيرة حول قضيّة تعدّد الزّوجات، وهذا التّعدّد:

أوّلاً- جاء في معرض الحديث عن اليتامى.

ثانياً- هو إباحة وليس إلزاماً، وهذه الإباحة مقيّدة بالعدل، فأنت لا

يجوز أن تأخذ الإباحة (التّعدّد) وتدع الإلزام وهو (العدل)، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾: أن يتزوّج الرّجل اثنتين وثلاثاً وأربعاً هذه هي القضيّة، قبل الإسلام وفي المجتمعات الغربيّة، كيف كان الوضع بالنّسبة للمرأة؟ كان الرّجل يتزوّج عدداً غير محدود من النّساء، ويمكن أن يكون له خليلات، وكانت المرأة ممتهنة، وهي أداة للمتعة، هكذا كانت المرأة، فالإسلام وضع ضوابط لهذا الأمر، وهذا الأمر يتعلّق بظروف اجتماعيّة معيّنة.

فالإسلام لم يفرض على أيّ مسلم أن يعدّد، على العكس فإنّ الإسلام ضبط شهوات النّاس ولم يأت لإطلاق الشّهوات، ولكنّه يقنّن لكلّ الحالات ولكلّ المجتمعات وفي كلّ الظّروف، فعندما قيّد بالعدل، والعدل لا يمكن أن يتحقّق إلّا بشروطه، والرّجل إمّا أن يعدّد من أجل الشّهوة وإمّا أن يعدّد لأسباب، وهذه الأسباب قد تكون ضروريّة ولكن عليه أن يحقّق العدل؛ لأنّ الله ﷻ قال له: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾، الأصل واحدة والتّعدّد مباح لظروف معيّنة، وهنا يجب أن نتوقّف عند موضوع العدل، هناك آية تقول: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾ [النّساء: من الآية ١٢٩]، فقوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا﴾ المقصود به عدل القلب، عن عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله يقسم فيعدل ويقول: «**اللّهمّ هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**»[1]، إذاً أباح الله التّعدّد بشروطه التي وردت في القرآن،

(١) سنن أبي داود: كتاب النّكاح، باب في القسم بين النّساء، الحديث رقم (٢١٣٤).

وهناك حالات في المجتمعات قد تحتاج فيها إلى التّعدّد، فالإسلام يقنّن لكلّ الأزمان ولكلّ الأماكن، فلا يقولنّ قائل: هذا نقص في الإسلام، هذا ليس نقصاً، وإنّما النّقص في عدم فهم مقاصد الشّريعة الإسلاميّة وتطبيق أحكام الإسلام والأخذ بالمباحات وترك الملزمات.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾: عندما جاء الإسلام كان هناك قضيّة مجتمعيّة كبرى في كلّ دول العالم هي الرّقّ، وكان الأسرى يصبحون عبيداً، كما أنّه في كلّ المجتمعات في ذلك الزّمان كانت قضيّة الزّواج لا حدود لها في التّعدّد، والله ﷻ بهذه المناسبة يوسّع مصارف عتق الرّقاب؛ لأنّ المرأة التي في مُلك اليمين تصبح حرّة إذا أتاها ولد، وهي حالة موجودة في المجتمعات، والإسلام يقضي على الرّقّ من خلال إباحة الزّواج من مُلك اليمين، الآن في المجتمعات لا يوجد مُلك يمين إذاً لا يقولنّ قائل عن خادمة: إنّها مُلك يمينه، هذا احتيال على شرع الله، مُلك اليمين يكون في مجتمع فيه عبيد ورقّ، ومجتمع تكون فيه حروب ويؤخذ الأسرى عبيداً وجواري، ولكن لماذا هذه الآية لكلّ زمان ومكان؟ لعلّه بعد ألف عام يعود الرّقّ، ما يُدرينا؟! الإسلام لا يقنّن لفترة زمنيّة محدّدة، إنّما لكلّ الأزمان، فهذه القضايا عندما تعالج في الشّريعة الإسلاميّة يجب أن تؤخذ بظروفها وإطارها الزّمانيّ والمكانيّ وأحكامها وإلزامها وإباحتها وحلالها وحرامها، وليس الأمر أنّه كلّما أراد الإنسان أن يطلق لشهوته العنان يأخذ آية من كتاب الله ويستند إليها.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾: ألّا تعولوا: ألّا تتجاوزوا، ولتكونوا عادلين في

قيامكم بهذا الأمر، فأمر التّعدّد أصبح واضحاً، فلا يقولنّ قائل: هذا أمر مفروض في القرآن، بل هو إباحة مقيّدة بإلزام العدل.

(الآية ٤) – ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾:

﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾: والصِّداق: هو المهر.

﴿نِحۡلَةٗ﴾: عطاء، هديّة.

فالمهر ليس ثمناً للمرأة إنّما هو تكريم لها، جعل الإسلام هذا المهر نحلة أو هدية تقدّم من أجل أن تدوم مشاعر الحبّ والودّ بين الرّجل والمرأة.

﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾: تنازلن عنه أو أَعطَين جزءاً منه.

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا﴾: هنيء عند الأكل ومريء بنتائج هذا الأكل، أنت قدّمت هذا المهر كهدية وتكريم للمرأة وليس ثمناً لها، والمرأة لا تقدَّر بثمن، فالإنسان مكرّم عند الله ﷻ: ﴿*وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: من الآية ٧٠]، ﴿فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا﴾ أي تركن لكم جزءاً منه، فعندما تأخذونه يكون هنيئاً وعند صرفه يكون مريئاً. والطّعام المريء: المقبول السّائغ.

(الآية ٥) – ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٥﴾:

﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾: ضعيف العقل يسمّى سفيهاً، وهو مَن لا يستطيع أن يدير ماله في شؤون هذه الحياة، فيكون وليّه هو الذي يدير المال له.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾: التي أنتم قائمون عليها كوصاية أو ولاية.

﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ﴾: الرّزق والكسوة مطلوبان فيما يتعلّق بهؤلاء السّفهاء، لكن إدارة المال تكون لمن هو وليّ أو وصيّ.

﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: في دين الإسلام ليس هناك إلّا قول المعروف، ولا إلّا ما هو خير.

(الآية ٦) – ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾:

﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: لا تنتظروا أن يصل اليتيم إلى سنّ الرّشد حتّى تختبروه وتدرّبوه على إدارة المال.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾: أي أعطوهم الأموال التي كنتم أوصياء عليها لإدارتها قبل بلوغهم سنّ الرّشد.

﴿وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ﴾: لا تسرفوا بأموالهم أو أن تبادروا بصرفها قبل أن يكبروا ويصبحوا في سنّ الرّشد.

﴿وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾: من الممكن أن يكون الذي يدير المال إمّا غنيّاً فالأفضل أن يستعفف ولا يأخذ من هذا المال، أو فقيراً فيأخذ أجراً على إدارة هذا المال بالشّيء المتعارف عليه في المجتمع.

﴿فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: يحفظ المولى ﷻ القضيّة

الماليّة بشهادة الشّهود إن أدّيت المال الذي كان تحت ولايتك أو تحت وصايتك لليتيم؛ لأنّه عندما يكبر قد يحاول أحدهم أن يميل به ضدّ من كان وَليّاً له أو وصيّاً على أمواله، فالحفاظ على الحقوق أولى، لذلك فأشهدوا عليهم حتّى يكون كلّ شيء موثّقاً، وهناك شهود على أنّ الوليّ أو الوصيّ قد دفع المال لليتيم.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: يكفي أنّ الله ﷻ هو الحسيب وهو الرّقيب على هذا الأمر، لا تستطيع أن تحتال بأيّ أمر من الأمور؛ لأنّ الله يعلم السّرّ وأخفى.

(الآية ٧) – ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝٧﴾:

ما أحوجنا أن نتدبّر القرآن الكريم ونرى حقائق ديننا الإسلاميّ العظيم الذي شُوِّهت معالمه من خلال تصرّفات الإرهابيّين والتّكفيريّين الذين أرادوا للإسلام أن يكون ستاراً لجرائمهم وحقدهم على الإنسانيّة وعلى الأخلاق وعلى القيم، والإسلام إنّما جاء بقيم ثابتة وردت في كتاب الله، وتُستنبط من كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، لا بدّ لنا أن نعقلها حتّى نعلم أنّ كلّ هذا التّشويه وكلّ هذه الأحقاد الصّهيونيّة المضمرة عبر الزّمن إنّما نفذّت من خلال أولئك المتآمرين المتربّصين بأمّتنا، وقد استخدموا الإسلام كستار للجرائم فحوّلوه من دين اللّطف إلى العنف، من دين العطاء إلى المنع، حوّلوه من دين جمع الكلمة إلى تفريق البلاد والعباد، وبتروا الآيات

والأحاديث وشوّهوا وبدّلوا معالم الدّين، فكان لا بدّ لنا من أن نفسّر ونتدبّر القرآن الكريم على حقيقة ما أنزله الله ﷻ بعيداً عن إسقاطاتهم المنحرفة الضّالّة التي رأيناها، لأكثر من ألف عام كان العالم في ظلام دامس وفي ضلالة وجاهليّة عمياء، فأخرجهم الإسلام من الظّلمات إلى النّور، وأعطى المرأة حقّها، وحوّلها من أداة للزّينة واللّهو واللّعب إلى شريكة في بناء المجتمع والمستقبل، وهذا ما نراه الآن من خلال هذه الآيات العظيمة.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾: هذه القسمة مفروضة من الله ﷻ؛ لأنّ المرأة كانت تُمنَع من الميراث.

(الآية ٨) – ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾:

عند توزيع الأموال إذا حضر بعض الأقرباء الذين لا يرثون أو اليتامى أو المساكين فأعطوهم منه.

﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: لا يكفي أن تعطي من مال الله الذي أعطاك، وخصوصاً مال الميراث، بل يجب أن ترفق هذا المال الذي تعطيه بالقول المعروف، يجب ألّا يُتبع المنفق صدقته بالأذى.

(الآية ٩) – ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾:

كأنّ الله ﷻ يقول: إنّك تستطيع وأنت موجود أن تعطي للضّعاف

قوّة من خلال تمسّكك بمنهج الله، والإنسان بطبيعته يخشى على ذريّته، فإذا تعامل مع الأيتام كما أمر الله وأنفق عليهم كان هذا هو الحصن له حين يترك مِن خلفه ذريّة ضعافاً، بدليل ما جاء في سورة (الكهف) عن قصّة الرّجل الصّالح مع سيّدنا موسى عليه السلام: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ﴾ [الكهف: من الآية ٧٧]، دخلا قرية وكانا جائعين فاستطعما أهلها فرفضوا إطعامهما، ووجدا جداراً يريد أن ينقضّ فبناه الرّجل الصّالح، فاستغرب سيّدنا موسى: ﴿قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾ [الكهف: من الآية ٧٧]، ففي البيان الذي ورد بعد ذلك في سورة (الكهف): ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾ [الكهف]، فصلاح الآباء عاد على هؤلاء الأبناء الأيتام، وهنا من خلال هذه الآية بيّن الله أنّك إذا خفت على ذريّة ضعاف فبتمسّكك بالإحسان إلى الأيتام والفقراء والمساكين واتّباع منهج الله تضمن لهم المستقبل، فضمان المستقبل لا يكون بالمال وإنّما يكون بالقيم والأخلاق، فإذا أخذت بالقيم الإيمانيّة والأخلاقيّة وبالإحسان إلى الفقراء والمساكين واليتامى... إلخ فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

﴿فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾: إيّاك أن تعتقد أنّ المال هو الذي يضمن ضعاف ذرّيّتك من بعدك، الذي يضمنهم هو رعاية الأيتام

الّذي هو من أجلّ الأعمال، ويكفينا أنّ النّبيّ ﷺ كان يتيماً وقد قال: «**أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا**»، وأشار بالسّبابة والوسطى، وفرّج بينهما شيئاً[1].

(الآية ١٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾:

اليتيم في المجتمع مكفول بمنهج الله، فالذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً يأكلون في بطونهم ناراً، وقد تكون ناراً في الحياة الدّنيا قبل عذاب الآخرة وسيصلَون -لا شكّ- سعيراً، وهذا تشديد في الوعيد من الله لمن يأكل أموال الأيتام.

(الآية ١١) - ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾:

هنا بدأت الآيات المتعلّقة بأحكام الميراث، وهذه آيات مهمّة جدّاً سنتعامل معها بشيء من العموميّة؛ لأنّ تفصيل أحكام الميراث هو مجال

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الطّلاق، باب اللّعان، الحديث رقم (٤٩٩٨).

تخصّصيّ، وهو علم خاصّ اسمه علم المواريث أو علم الفرائض.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾: كلّ المشكّكين في الإسلام يرون أنّ الإسلام جعل المرأة نصف الرّجل، ويستدلّون بهذه الآية، ونقول لهم عكس ذلك تماماً، فأكبر دليل على حقوق المرأة هو هذه الآية، بل وأضف إلى ذلك أكبر دليل على أنّ المرأة أخذت أكثر من الرّجل هذه الآية: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾، حصّة الأنثى هي الأكثر وهي الأساس، لماذا؟ لأنه لدينا في الحالات التي توزّع فيها أنصبة المواريث ثلاث وثلاثون حالة تأخذ فيها المرأة أكثر من الرّجل، وحالة واحدة يكون لها نصف نصيب الذّكر، فمن لا يعرف هذا الكلام لا يحقّ له أن يتهجّم على الإسلام.

﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾: أي حين لا يوجد ذكور، هذه آيات غاية في الأهميّة تتعلّق بأنصبة المواريث وما يتعلّق بأحكام الأسرة في المجتمع، هناك من يعتقد أنّ حقوق المرأة منقوصة في الإسلام ويُطالب بالمساواة، ولو أنّنا عرضنا الإسلام بحقيقته لتفاجأ أولئك النّاس بأنّ الإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة، والدّليل هذه الآيات، فإن كان هناك تقصير في الفهم البشريّ فيجب أن يُسَدَّد، أمّا أن نقول: إنّ التّقصير يتعلّق بالقرآن الكريم أو بالسّنّة النّبويّة، فهذا غير صحيح؛ لأنّ القرآن الكريم أعطى المرأة كامل الحقوق، فإذاً العيب فينا؛ لأنّنا لم نفهم ولم نطبّق الأمر كما جاء في الإسلام بدليل هذه الآيات، فمعظم النّاس يأخذون هذه الآية على

أساس أنّها إنقاص من حقّ المرأة، قالوا: للذّكر مثل حظّ الأنثيين، قلنا: المقياس حظّ الأنثيين، المعيار هو حصّة المرأة، هذا يعني أنّ حصّة المرأة هي الأكثر، فهناك ثلاث وثلاثون حالة ترث المرأة فيها أكثر من الرّجل، فهناك الأخت، والأخت من الأمّ، والأخت من الأب، والأمّ، والجدّة، والبنت... إلخ. الإسلام كرّم المرأة وأعطاها أكثر من الرّجل، سيقال: ما هو الإثبات على ذلك؟ الجواب: أنّ الإثبات:

أوّلاً- هذه الآية.

ثانيّاً- ما روي أنّه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَن أحقّ النّاس بحسن صحابتي؟ قال: «أمّك»، قال: ثمّ مَن؟ قال: «ثمّ أمّك»، قال: ثمّ مَن؟ قال: «ثمّ أمّك»، قال: ثمّ مَن؟ قال: «ثمّ أبوك»[1]، فضّل الأمّ ثلاث مرّات على الأب، فهل الأمّ أنثى أم لا؟ وهل الأب ذكر أم ليس ذكراً؟ أفضل إنسان يجب أن تبرّه هو الأمّ وهي امرأة، أيضاً بالقرآن الكريم جاء عن الأمّ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان]، فلماذا نأخذ بقضيّة واحدة ونبترها عن بقيّة القضايا؟! أيّ امرأة على وجه الأرض أكثر ما يهمّها علاقتها بأولادها وبرّهم بها.

﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾: يجب أن تنفّذ الوصيّة وأن يوفّى

---

(١) صحيح البخاريّ: كتاب الأدب، باب من أحقّ النّاس بحسن الصّحبة، الحديث رقم (٥٦٢٦).

الدّين عن المتوفّى قبل تقسيم الميراث.

﴿لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗا﴾: النّفعيّة يحدّدها المولى ﷻ، قد تعتقد أنّ أحدهم هو أقرب وأنفع لك، ولكنّك لا تدري من هو أقرب نفعاً، الآباء أو الأبناء.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾: لماذا تذيّل بعض الآيات بقوله: ﴿كَانَ﴾ بصيغة الماضي؟ الجواب: أنّ الله ليس عالم أغيار، فهو ﷻ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشّورى: من الآية ١١]، فلا يخضع لزمان، فهو جلّ وعلا كان عليماً حكيماً وما زال عليماً حكيماً وسيبقى عليماً حكيماً، وهو خالق الزّمن.

(الآية ١٢) – ﴿*وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾:

ندع تفصيل الرّبع والثّمن هنا لأهل الاختصاص؛ لأنّها تتعلّق بأحكام المواريث.

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾: دائماً من بعد وصيّة أو دين، فلا تستطيع أن توزّع الميراث حتّى تُخرج الحقوق المعلّقة في هذا الميراث.

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾: كلالة تعني ليس له أصول ولا فروع، أي ليس لديه أب ولا ولد.

﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ﴾: الأخ والأخت هنا لأمّ؛ لأنّ أحكام الأخوّة لأب تأتي في موضع آخر.

﴿غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ﴾: توزيع الميراث بهذا الشّكل لا يمكن أن يأتي منه ضرر؛ لأنّه توزيع إلهيّ وهو فريضة من الله ﷻ.

(الآية ١٣) - ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾:

﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ﴾: المقصود إن كانت أوامر فلا تعتدوها ولا تتجاوزوها، وإن كانت نواهي فلا تقربوها.

(الآية ١٤) - ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾:

الثّواب هو الجنّة، والعقاب هو العذاب المهين في النّار.

(الآية ١٥) - ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعٗا مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾:

الفاحشة كما عبّر القرآن الكريم هي الزّنى، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء].

﴿فَٱسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾: انظروا لدقّة حفظ الأنساب والأعراض، لذلك قذف المحصنات من الكبائر، ولا بدّ من شهادة أربعة أشخاص حتّى لا تصبح الأسر معرّضة للاهتزاز بسبب حقد الحاقدين والمؤذين الذين يحاولون تشويه سمعة النّاس، فالإسلام حرص كلّ الحرص ليس فقط على بناء الأسرة في عقد الزّواج وشروطه واختيار الزّوجة واختيار الزّوج، لكن بعد ذلك المحافظة على العلاقة الزّوجيّة وصيانتها من أن تعتريها الاتّهامات وخصوصاً في أعراض النّساء، فكان التّشديد في هذا الموضوع، وأكبر تشديد في شهادة وردت في القرآن الكريم هو في موضوع يتعلّق بالمرأة.

(الآية ١٦) – ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾:

قال العلماء: هذه الآية تتعلّق بالالتقاء بين رجلين أي اللّواط، وهذا الأمر محرّم شرعاً كما ورد في نصّ هذه الآية، أو كما قال معظم العلماء في تفسيرها، والله جعل الفطرة السّليمة للإنسان تقبل الالتقاء بين الرّجل والمرأة، وفق القواعد الضّابطة للشّهوات من خلال الزّواج بشروطه، فكما كانت تتحدّث الآيات السّابقة عن اللّاتي يأتين الفاحشة من نسائكم وجعل الضّوابط هي شهادة أربعة لحفظ الأعراض والأنساب، أيضاً حرّم

الإسلام الشّذوذ الجنسيّ، والّذين يطالبون بتدمير القيم من خلال المثليّة الجنسيّة التي هي السّبب الرّئيسيّ في تفكّك المجتمعات الغربيّة وتفشّي مرض الإيدز وأمراض أخرى، ولا شكّ أنّ الانحلال الأخلاقيّ هو مرض اجتماعيّ وصحّيّ، وهذا ينعكس على كلّ البشريّة من خلال التّخلّي عن القيم التي جاءت بها الأديان السّماويّة، وهي واضحة من ثنايا تعاليم القرآن الكريم، فالمرأة ليست أداة للزّينة وللّهو وللمتعة الجسديّة، وإنّما هي شريكة للرّجل في كلّ شؤون الحياة، ويجب على الإنسان ألّا يدع شهوته تسيّره إلى الحضيض والمهالك، وإنّما الإنسان العاقل هو الذي يستطيع أن يسيّر شهوته ويضبطها وفق الحدود التي حدّدها الله ﷻ.

﴿فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾: هناك دعوة متكرّرة للإصلاح في المجتمع وهي التّوبة، فإذا تاب الإنسان وأصلح ما أفسد فإنّ الله كان وما زال توّاباً رحيماً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾: توّاب: صيغة مبالغة، فالله يتوب على هذا وعلى هذا، يقبل التّوبة الصّادقة من كلّ الخلق.

رحيماً: يرحم الإنسان بألّا يجعله يقع في الذّنب.

(الآية ١٧) - ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾:

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾: تكفّل الله بالتّوبة، لكن التّوبة على الله

للذين يعملون السّوء بجهالة، فعندما فعل هذه السّيّئات وارتكب هذه المحرّمات كان يجهل العقوبة وقت وقوع المعصيّة ثمّ تاب.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾: من قريب حدّدها النّبيّ ﷺ بقوله: «**إنّ الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر**»[1]، والإنسان لا يعلم الوقت الذي يحين فيه الأجل، لذلك عليه أن يُسارع إلى التّوبة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: لماذا لم يقل هنا: وكان الله غفوراً رحيماً ما دام الموضوع هنا يتعلّق بالتّوبة؟ الله ﷻ كان عليماً بصدق الإنسان وبأنّه لم يكن يخطّط لهذه المعاصي عن إصرار، فالله ﷻ يقول: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزّمر]، لكنّ الشّرط عندما عمل السّوء عن جهالة في ذلك الوقت تاب من قريب أي قبل أن يغرغر، وكان صادقاً في توبته، هنا تكون التّوبة الصّحيحة ويعفو الله تعالى عنه.

(الآية ١٨) – ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾:

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أي أنّه يُكثر من السّيّئات ويصرّ عليها ولا يبالي بالدّعوة المتكرّرة للكفّ عن الخطأ.

---

(١) صحيح ابن حبّان: كتاب الرّقائق، باب التّوبة، الحديث رقم (٦٢٨).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾: عندما يواجه الإنسان الموت ففي هذه اللّحظات لن يستفيد المجتمع شيئاً من توبته، ولن تكون هذه التّوبة دعوة متكرّرة للإصلاح، وتكون هذه التّوبة إنّما بدرت منه؛ لأنّ الإنسان يعتقد في هذه اللّحظات أنّه فقد كلّ ما يملك في هذه الدّنيا وأنّه راحل عنها، فهو يقول: إنّي تبت الآن، فعند ذلك لا تُقبل منه.

(الآية ١٩) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾:

يعالج النّصّ القرآنيّ كلّ ما يتعلّق بالمرأة من هضم للحقوق، فعندما يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: فإنّه يخاطب من دخل في عقد الإيمان مع الله تبارك وتعالى.

﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾: العادات التي كانت موجودة هي أنّه إذا مات الإنسان جاء وليّه أو ابنه فيرث المال ويرث زوجة المتوفّى، فالوليّ أو الذي يرث يأخذ الزّوجة ويضع عباءته عليها فيأخذها ويستحلّها له أو يزوّجها ويقبض مهرها، فكانت المرأة سلعة لذلك قال المولى ﷻ في هذه الآية: ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾: العضل: هو المنع من الزّواج والتّضييق على المرأة. فالمرأة في الإسلام إذا مات زوجها تدخل في العدّة فإذا خرجت من العدّة يحقّ لها أن تتزوّج، لكنّهم كانوا

يمنعونها من الزّواج، فحرّم الله ذلك إلّا بحالة واحدة هي الفاحشة المبيّنة والواضحة.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: ما أعظم وأروع هذه العبارات النّديّة المتعلّقة بالزّوجة، فالعلاقة والعشرة بين الرّجل والمرأة لا تبنى فقط على الودّ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وليس بالمودّة؛ لأنّ المودّة هي الحبّ، فقد لا يبقى الحبّ بين الرّجل والمرأة بعد الزّواج بأعوام، عندما تتعب هذه المرأة وتكبر وتحمل وتلد وتُرضع، هناك شريكان فلا بدّ في خضم الحياة الزّوجيّة أن تحدث خلافات، فالعشرة بين الرّجل والمرأة يجب أن تكون بالمعروف وليس بالمودّة فقط، المودّة ترضي نفسك، أمّا المعروف فترضي غيرك، فعندما تكون العشرة بالمعروف إن كرهت منها خُلقاً رضيت منها خُلُقاً كما قال النّبيّ ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر**»[1]، ما أعظم هذا التّعبير، فالمرأة ليست أداة للمتعة الجسديّة فقط، إنّما هي شريكة حياة، فإن اعتراها النّقص في زاوية معيّنة فهناك زوايا كثيرة، والعشرة بين الرّجل والمرأة لا تتعلّق بحالة واحدة وهي حالة العلاقة الجنسيّة، وإنّما هي حياة تتسامى ليكون فيها تكامل وحياة مستمرّة، هي آلام وآمال وأحلام وتربية وعيش ومشاركة في كلّ ما يتعلّق بهموم وشؤون وشجون الحياة والأولاد وبناء الأسرة والعمل، فلا يمكن أن نجعل حظّ المرأة من الحياة المتعة

(١) صحيح مسلم: كتاب الرّضاع، باب الوصيّة بالنّساء، الحديث رقم (١٤٦٩)، فركه يفركه: إذا أبغضه، والفرك: البغض.

فقط، ولا تُبنى الحقوق على الحبّ، وإنّما تبنى على القيم، وحقوق الزّوجة هي من أهمّ الحقوق بالنّسبة للرّجل، قال رجل للحسن ﷺ: قد خطب ابنتي جماعة، فمن أزوّجها؟ قال: "ممّن يتّقي الله، فإن أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها"، لماذا؟ لأنّ النّبيّ قال: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر**»[1]؛ لأنّ القرآن الكريم قال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾: أصبحت هناك كراهية نتيجة رتابة الحياة والخلافات، فماذا يقول لك المولى؟ هل يقول لك: طلّقها؟! كلّ هذه العشرة وهذه التّربيّة وهذا التّعب تكون النّتيجة أن تطلّقها؟ لا، بل قال: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

(الآية ٢٠) – ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾:

﴿قِنطَارًا﴾: القنطار يُطلق على الكميّة الكبيرة من المال، والمراد به هنا المهر.

﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾: يشدّد هنا على حقوق المرأة الماليّة.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الرّضاع، باب الوصيّة بالنّساء، الحديث رقم (١٤٦٩).

﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: عندما يحدث الكره ويحدث الطّلاق قد يتّهم الزّوج المرّأة بعرضها ويستحلّ مالها، لذلك جاءت الآيات واضحة في ضبط هذا الموضوع لصالح حقوق المرأة.

وممّا ذُكِر عن القنطار بالمهور أنّ عمر بن الخطّاب ﷺ خطب النّاس، فحمد الله ﷻ وأثنى عليه وقال: "ألا لا تغالوا في صداق النّساء، فإنّه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه إلّا جعلت فضل ذلك في بيت المال"، ثمّ نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين! أكتاب الله ﷻ أحقّ أن يُتّبع أو قولك؟ قال: "بل كتاب الله ﷻ، فما ذاك؟"، قالت: نهيت النّاس آنفاً أن يغالوا في صداق النّساء والله ﷻ يقول في كتابه: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾، فقال عمر ﷺ: "كلّ أحد أفقه من عمر" مرّتين أو ثلاثاً، ثمّ رجع إلى المنبر فقال للنّاس: "إنّي كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النّساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له"[1].

(الآية ٢١) – ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾:

ما أعظم هذه العلاقة المتينة التي ربط الله بها المرأة والرّجل في الزّواج، الإفضاء: اتّصال واسع بينك وبين زوجتك بالأنفاس والطّعام والمعاشرة..

﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: الميثاق: هو العهد بين اثنين، إذاً

(١) سنن البيهقي الكبرى: كتاب الصّداق، باب ٢، الحديث رقم (١٤١١٤).

جعل الله عقد الزّواج ميثاقاً غليظاً، لذلك نقول للّذين يتلاعبون بعقود الزّواج وما يتعلّق بها: إنّ الله نصّ في القرآن الكريم على أنّ عقد الزّواج هو ميثاق عهد بين اثنين، عهدٌ غليظٌ قويٌّ شديدٌ متينٌ، وعقد الزّواج له شروط كما هو معروف، فلا بدّ من الإيجاب والقبول بين الشّريكين، ولا بدّ من المهر، ولا بدّ من الشّهود، ولا بدّ من الإشهار حتّى يكون الأمر واضحاً، لذلك نحن نقول: إنّ عقد الزّواج هو عقد غليظ غلّظه الله ﷻ وشدّد عليه حتّى لا يعتريه في أيّ لحظة ضعف ووهن، والنّبيّ بيّن أبعاد العلاقة التي رُبطت بهذا الميثاق الغليظ في حجّة الوداع فقال ﷺ: «**أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ، فَإِنّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقّاً، وَلَهُنّ عَلَيْكُمْ حَقّاً، لَكُمْ عَلَيْهِنّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ وَعَلَيْهِنّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنّ اللّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرّحٍ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنّ رِزْقُهُنّ وَكُسْوَتُهُنّ بِالْمَعْرُوفِ، وَاسْتَوْصُوا بِالنّسَاءِ خَيْراً، فَإِنّهُنّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنّ شَيْئاً، وَإِنّكُمْ إنّمَا أَخَذْتُمُوهُنّ بِأَمَانَةِ اللّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنّ بِكَلِمَاتِ اللّهِ، فَاعْقِلُوا أَيّهَا النّاسُ قَوْلِي، فَإِنّي قَدْ بَلّغْت**»[1]، هل هناك تشريع في الدّنيا يعطي الزّوجة هذه الحقوق التي بيّنها النّبيّ ﷺ؟ وعليك أيّها المؤمن أن تعامل زوجتك كما كان ﷺ يعامل زوجاته، قال رسول الله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم**

(١) سيرة ابن هشام: ج٢، ص ٦٠٣-٦٠٥.

لأهلي»[1]، وكان النّبيّ في عمل أهله في داخل المنزل، وكان يساعد زوجاته في كلّ أمر من الأمور، فهل من الإنصاف أن يهضم رجل حقوق المرأة بعد هذه الشّراكة وهذا الإفضاء الواسع؟!

أيّ قوانين أو تشريعات على وجه الأرض ممكن أن تعطي السّعادة الزّوجيّة وحقوق المرأة أكثر من هذه الآيات ومن هذه الأحاديث النّبويّة الصّحيحة التي وردت عن رسول الله ﷺ؟!

(الآية ٢٢) - ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾:

الآن نأتي للمحرّمات بالنّسبة للزّواج، وهي تتعلّق بالفطر السّليمة والخُلق القويم والسّلوك الرّشيد، فالحكم الشّرعيّ هو حكم لصالح الإنسان ولتكريمه، أوّل المحرّمات أن تتزوّجوا ما تزوّج آباؤكم من النّساء إلّا ما قد سلف، أي ما مضى سابقاً، فقبل نزول هذه الآيات إن توفّي الرّجل وكان متزوّجاً يستطيع الابن أن يتزوّج زوجة الأب، وعندما جاء الإسلام حرّم هذا، فزوجة الأب بمثابة الأمّ لا يحلّ له أن يتزوّجها.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا﴾: حتّى إنّهم يسمّونه زواج مقت، والولد الذي يأتي من هذا الزّواج يسمّونه المقت، فهذا الأمر حتّى الفطرة تشمئزّ منه، فهو أمر فاحش وغير أخلاقيّ وممقوت ومرفوض.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: أي ساء طريقاً.

---

(١) سنن التّرمذيّ: كتاب المناقب، باب فضل أزواج النّبيّ ﷺ، الحديث رقم (٣٨٩٥).

بعد ذلك يعدّد ما يحرم على الإنسان من النّسب وما يحرم من الرّضاعة في هذه الآية التّالية:

(الآية ٢٣) - ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾:

كلّ الأصول والفروع محرّمة، أي الأمّهات وكلّ ما علا من الأصول أمّ الأمّ وأمّ الأب، وبناتكم وهنّ الفروع أي لا يحلّ للإنسان أن يتزوّج من ابنته ولا ابنة ابنته ولا ابنة ابنه هذه الفروع بالتّسلسل، كما يحرم على الإنسان أن يتزوّج من أخواته وعمّاته وخالاته، والنّبيّ ﷺ حرّم الزّواج من عمّة وخالة الزّوجة أيضاً، وبنات الأخ وبنات الأخت.

﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾: التي أرضعتك أصبحت كأمّك، وكلّ ما حُرّم من النّسب حُرّم بالرّضاعة، أي الأمّ وأمّها أي الجدّة، الأمّ وأولادها، الأخوات من الرّضاعة أيضاً من المحرّمات.

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾: أي أمّ الزّوجة.

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾: بنت الزّوجة لا يحلّ للرّجل أن يتزوّجها.

﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾: حلائل الأبناء الّذين من صلب الرّجل لا يحلّ أن يتزوّجها، أي زوجة ابنه إن طلّقها أو مات عنها.

﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾: لا يحلّ الجمع بين الأختين احتراماً للمرأة.

كلّ ما ذُكر في هذه الآية محرّم بالنّسبة للرّجل، والله ﷻ لا يحرّم أمراً أو يحلّ أمراً إلّا فيه مصلحة، سواء عرفتها أو غابت عنك، وبشكل عامّ إذا كان همّك أن تتبيّن الحكمة من الفرض أو من الحلال أو من الحرام في كلّ أمر من الأمور فإنّك تعبد الحكمة ولا تعبد الله الآمر، فما دمنا قد آمنّا بالله فمن جزئيّات ومتطلّبات ووظائف الإيمان أن نؤمن بما أنزله الله ﷻ ونوقن أنّه من مصلحتنا، وأن نقوم به سواء عرفنا العلّة أم لم نعرفها.

هناك بعض الأوامر التي يعطيها المولى لا يجب على الإنسان أن يعلم علّتها حتّى لا يعبد الإنسان العلّة، فإن قلنا: امتنع عن الخمر؛ لأنّ الخمر تؤدّي إلى تشمّع الكبد والمرض، فإذا امتنعت ولم يكن امتناعك عن إيمان، بل امتنعت عنه لأنّه يؤدّي إلى تشمّع الكبد، فلا علاقة له بالقضيّة الإيمانيّة.

إن كنت تصوم فقط للصّحة وتصلّي فقط للرّياضة فهذا ليس إيماناً ولا تعبّداً ولا تقرّباً إلى الله، علّة الإيمان هو تنفيذ أمر الآمر، فالأصل إمّا أن نؤمن أو لا نؤمن: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: من الآية ٢٩]،

أنتم لكم الحريّة، فالله ﷻ ترك حريّة الاختيار للبشر: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس]، الدّين اعتقاد، وليس ثقافة، الدّين عقيدة وأخلاق وقيم وتشريعات وأحكام وضوابط، ويكون عن اختيار وقناعة، وسمّي عقيدة وكأنّك عقدت هذا القلب وربطت عليه فلا يخرج منه الإيمان ولا يدخل إليه الشّرك، فالإيمان له متطلّبات لذلك يعرّف النّبيّ الإيمان في الحديث المشهور عندما سأل سيّدنا جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن الإيمان فأخبره أنّ الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**»(١)، هذا تعريف الإيمان العامّ، ويقول النّبيّ ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون، أو بضعٌ وستّون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطّريق**»(٢)، حتّى إذا أمطت الشّوكة عن الطّريق ومنعت أذيّة إنسان أو حيوان فهذه شعبة من شعب الإيمان بالله ﷻ، الإيمان هو علاقة بين العبد وربّه، فنستطيع أن نفهم على ضوء من هذا قوله: لا يجوز لك أن تتزوّج الأختين ولا الخالة ولا العمّة و... وهكذا بالنّسبة للمحرّمات من الرّضاع ومن النّسب ومن المصاهرة التي وردت في ثنايا هذه الآية.

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله، الحديث رقم (٨).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، الحديث رقم (٣٥).

تمّ بفضل الله تعالى تفسير الجزء الرّابع

الحمدُ للهِ عَلى مَا أَنْعَمَ بِهِ علينا مِن نِعَمِه العَظيمةِ، وآلائِهِ الجَسيمَةِ، حيثُ أَنزلَ إلينا خَيرَ كُتُبِهِ، وأَرْسَلَ إلينَا أَفضَلَ رُسُلِهِ، وشَرَعَ لَنا أَعظَمَ شَرائِع دِينِه، وجَعَلَنا مِن خَير أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنّاسِ، وهَدانَا لِمَعَالِم دِينِهِ الذي لَيسَ بِهِ التِبَاس.

اللَّهمَّ ذكِّرْنَا مِن القُرْآنِ مَا نُسِّينَا، وعَلِّمْنَا منْهُ مَا جَهِلْنَا، وارزُقْنَا تِلاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيلِ وَأَطْرَافَ النَّهارِ عَلَى النَّحْوِ الذي يُرضِيكَ عَنَّا.

اللَّهمَّ أَلْبِسْنَا بِهِ الحُلَلَ، وأَسْكِنَّا بِهِ الظُّلَلَ، وادْفَعْ بِهِ عَنَّا النِّقَمَ، وزِدْنَا بِهِ مِنَ النِّعَمِ يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ.

سُبحانَ ربِّك رَبِّ العزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ عَلى المُرْسَلِينَ، والحمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين.

فهرس

رقم الآية – نصّ الآية رقم الصّفحة

تفسير سورة (آل عمران) من الآية: (٩٣–٢٠٠):

٩٣- ﴿* كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٩٣﴾ ٩

٩٤- ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤﴾ ١١

٩٥- ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥﴾ .. ١١

٩٦- ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦﴾ ١٢

٩٧- ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ ١٦

٩٨- ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ٩٨﴾ ١٩

٩٩- ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٩٩﴾ ١٩

١٠٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ

إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾ ٢٠
١٠١- ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم
بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾ ٢٢
١٠٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾
..... ٢٣
١٠٣- ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ
أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾
..... ٢٤
١٠٤- ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ ٢٧
١٠٥- ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ١٠٥﴾ ٣٠
١٠٦- ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ
إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦﴾ ٣٢
١٠٧- ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ ... ٣٣
١٠٨- ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾
..... ٣٤

١٠٩- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ١٠٩﴾ ٣٥

١١٠- ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ ٣٦

١١١- ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١١١﴾ ٣٧

١١٢- ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ١١٢﴾ ٣٩

١١٣- ﴿* لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣﴾ ٤٤

١١٤- ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ ٤٥

١١٥- ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ١١٥﴾ ٤٦

١١٦- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦﴾ ٤٧

١١٧- ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧﴾

..... ٤٩
١١٨- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾ ٤٩
١١٩- ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩﴾ ٥٢
١٢٠- ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ ٥٣
١٢١- ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾ ٥٤
١٢٢- ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾ ٥٦
١٢٣- ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢٣﴾ ٥٧
١٢٤- ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ١٢٤﴾ ٥٩
١٢٥- ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ

ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ ٦٠
١٢٦- ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ ٦١
١٢٧- ﴿لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ ٦٢
١٢٨- ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ ٦٣
١٢٩- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾﴾ ٦٣
١٣٠- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ ٦٦
١٣١- ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ ٦٩
١٣٢- ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ ٦٩
١٣٣- ﴿* وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ٦٩
١٣٤- ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ ٧٠
١٣٥- ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ

لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ٧٣

١٣٦- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ ٧٤

١٣٧- ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ ٧٥

١٣٨- ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ ٧٩

١٣٩- ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ ٨٠

١٤٠- ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ ٨٢

١٤١- ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ٨٤

١٤٢- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ ٨٥

١٤٣- ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ ٨٦

١٤٤- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ ٨٦

١٤٥- ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ
ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾
..... ٩١

١٤٦- ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ ٩٣

١٤٧- ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ ٩٣

١٤٨- ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ ٩٤

١٤٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ
أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ ٩٥

١٥٠- ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ ٩٥

١٥١- ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ
بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾
..... ٩٦

١٥٢- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ
مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ
عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ٩٧
١٥٣- ﴿*إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ
فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا
فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾
..... ٩٨
١٥٤- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ
أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ
ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ
لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى
قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ ١٠٠
١٥٥- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ ١٠٣
١٥٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً
فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾ ١٠٤
١٥٧- ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ ١٠٤
١٥٨- ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ١٠٥

١٥٩- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ ١٠٥

١٦٠- ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ ١٠٨

١٦١- ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ ١٠٩

١٦٢- ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾ ١١٠

١٦٣- ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ ١١١

١٦٤- ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ ١١١

١٦٥- ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ ١١٤

١٦٦- ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ ١١٥

١٦٧- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۖ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ ١١٥

١٦٨- ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ ١١٦

١٦٩- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ ١١٧

١٧٠- ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ ١١٨

١٧١- ﴿*يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ ١١٩

١٧٢- ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ ١٢٠

١٧٣- ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ ١٢٠

١٧٤- ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ ١٢١

١٧٥- ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ ١٢٣

١٧٦- ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ ١٢٤

١٧٧- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾
..... ١٢٥

١٧٨- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ ١٢٥

١٧٩- ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ ١٢٦

١٨٠- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ ١٢٩

١٨١- ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ .. ١٣٠

١٨٢- ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ .. ١٣١

١٨٣- ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ ١٣٢

١٨٤- ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ ١٣٤

١٨٥- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن

زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ ١٣٥

١٨٦- ﴿*لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ ١٣٧

١٨٧- ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ ١٣٩

١٨٨- ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨٨﴾﴾ ١٤٠

١٨٩- ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ ... ١٤٠

١٩٠- ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ ١٤١

١٩١- ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ ١٤٣

١٩٢- ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾﴾ ١٤٦

١٩٣- ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ

لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ ١٤٦
١٩٤- ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ ١٤٨
١٩٥- ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ ١٤٨
١٩٦- ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ ﴾ ١٥١
١٩٧- ﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ ١٥١
١٩٨- ﴿لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ ١٥١
١٩٩- ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ ١٥٢
٢٠٠- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ ١٥٢

تفسير سورة (النّساء) من الآية: (١-٢٣):

١- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

..... ١٦٣
٢- ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ ١٦٧
٣- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾﴾ ١٦٨
٤- ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ ١٧٢
٥- ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾﴾ ١٧٢
٦- ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ ١٧٣
٧- ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾ .. ١٧٤
٨- ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ ١٧٥
٩- ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ ١٧٥

١٠- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ ١٧٧

١١- ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾ ... ١٧٧

١٢- ﴿*وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾ ١٨٠

١٣- ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ ١٨١

١٤- ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ ١٨١

١٥- ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ ١٨١

١٦- ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ ١٨٢

١٧- ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ ١٨٣

١٨- ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ ١٨٤

١٩- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ ١٨٥

٢٠- ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ

قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴿٢٠﴾
..... ١٨٧
٢١- ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم
مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴿٢١﴾﴾ ١٨٨
٢٢- ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ
إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴿٢٢﴾﴾ ١٩٠
٢٣- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ
وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ
أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ
وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ
فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ
أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴿٢٣﴾﴾ ١٩١
تضرّع ودعاء ١٩٥
فهرس: ١٩٧